# محطات مشرقة

بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر الشريف
مجمع البحوث الإسلامية
الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة
.....

AL- AZHAR
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARCMEMT
ROR RESAARCH , WRICT ING& TRANSLACION

**تصريح طبع ونشر وتداول**

رقم ( ١٧ ) الصادر في ٢٩ / ٢ / ٢٠١٨م

عنوان الكتاب : ( محطات مُشرقة في القرآن الخمسين الأولى دراسة إملائية لآيات هذين السورتين في الصبيحة ).

إسم المؤلف : الدكتور احمد محمد قيس

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..... وبعد :

يسر الأمانة العامة لمجمع البحوث الإسلامية - الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة أن تخطركم بأنها قد وافقت على طلبكم الخاص بطبع ونشر وتداول كتابكم ( محطات مُشرقة في القرآن الخمسين الأولى دراسة إملائية لآيات هذين السورتين في الصبيحة / _____ )

وليس في الكتاب المذكور ما يتعارض مع العقيدة الإسلامية ولا مانع من طبعه ونشره على نفقاتكم الخاصة ، مع التأكيد على ضرورة العناية التامة بتصوير الآيات القرآنية من المصحف الشريف وأيضا العناية التامة بالأحاديث النبوية المطهرة وعزوها الى مصادرها ، مع تلقينا كل ما اشرنا إليه من ملاحظات ، وعليه فلا مانع من الموافقة على الطبع والنشر والتداول .

**رجاء الإحاطة**

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

حرر في ١٩ / ٦ / ١٤٣٩هـ
الموافق ٦ / ٣ / ٢٠١٨م

**مدير عام**
**الإدارة العامة للبحوث والتأليف والترجمة**

**بعتمد ..**
**الأمين العام**
**لمجمع البحوث الإسلامية**

إدارة البحوث والنشر
رقم ١٧ م
٢٠١٨/٣/٦

جميع حقوق الطبع والنشر والملكية الفكرية محفوظة للمؤلف
الدكتور أحمد محمد قيس
عضو في اتحاد الكتاب اللبنانيين

التوزيع في لبنان
دار الملاك
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - الفيجري - ص.ب ١٥٤٥/١٤
هاتف: ٠٣٢٥٥٣٠ / ٠١٤٥٠٣٦٩

الطبعة الأولى / ٢٠١٨
رقم الإيداع
في دار الكتب المصرية ١٤٦٩٦

التوزيع في مصر
دار الأصالة والمعاصرة
للنشر والتوزيع والبحث العلمي
القاهرة - مصر / حي السيدتين
Yourinoha@gmail.com
هاتف: ٠١١١٤٢٥٥١٩٦

# محطات مشرقة

## في التراث المسيحي الإسلامي

## دراسة إسلامية لحياة بعض القدّيسين في المسيحية

- يوحنا المعمدان
- يعقوب الكبير
- شمعون الصفا

وحبيب النجار

- القديسة صوفيا
- القديسة كاترين
- أهل الكهف
- أصحاب الأخدود
- القديسة فاطمة

قدّم هذا العمل
معالي وزير الأوقاف
أ.د. محمد مختار جمعة

وسيادة المطران
د.ميشال عون
راعي أبرشية جبيل المارونية

إعداد وتأليف
الدكتور أحمد محمد قيس

دار الملاك

بسم الله الرحمن الرحيم

# مقدمة معالي وزير الأوقاف
# المصرية

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف
الوزير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام

على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد عليه وعلى آله الصلاة والسلام

أما بعد :

هذا الكتاب (محطات مشرقة في التراث المسيحي الإسلامي ـ دراسة إسلامية لحياة بعض القديسين في المسيحية) للباحث اللبناني الأستاذ الدكتور / أحمد محمد قبس ، يأتي في توقيت مهم ، حيث تعيش الإنسانية بشكل عام ، مرحلة من مراحل الجهل والتخلف الفكري أضف إلى ذلك ما يعانيه عالمنا من تطرف وتعصب ، رغم ما وصلت إليه البشرية من تقدم علمي أو تكنولوجي .

ومما يؤسف له حقًا أن الذي يتحكم في أهواء البشر غرائزهم ، و المرض المادي ، وكذلك العصبية التي يشيعها الانتفاع والتهور وعدم التعقل ، ولهذه العصبية أنواع ، منها : الفكرية والمذهبية ، والطائفية والعرقية ، والإثنية والعرقية ، والشرقية والغربية ، وصولاً إلى اللا إنسانية .

وغني عن البيان أن هدف جميع الرسالات السماوية الارتفاع بمستوى النوع الإنساني إلى المستوى الملائكي ، بعد أن كرم الله عز وجل الإنسان وجعله في أحسن تقويم .

الا أن المخلصين من الدعاة ومن أهل الفكر والرأي والعلم أصبحى جل اهتمامهم العمل على إعادة الناس إلى نوعهم الإنساني بعد ما تقهقروا إلى جنسهم الحيواني .

ومن هذا المنطلق جاء هذا الكتاب الذي بين أيدينا ، حيث حاول بأسلوب أدبي وإخباري أن يعرف الأخوة المسيحيين بالمسلمين وبالعكس (على حد تعبير المؤلف في مقدمته لهذا الكتاب ) ، ويجدر بالذكر أن مؤلف هذا الكتاب سبق له أن أصدر أكثر من كتاب كلها تدعو إلى التقارب بين المذاهب وإعلاء القواسم المشتركة التي جاءت بها جميع الأديان السماوية مثل الحق والخير والجمال والتسامح وقبول الآخر ... الخ .

ومن هذه الكتب (مصر وآل البيت) و موسوعة (المؤتلف والمختلف في التفسير ) ، وغيرهما ..

ويؤكد المؤلف على أنه يعلم مسبقًا أننا في زمان قل فيه من يقرأ ، إلا أن ذلك لا يمنعنا من أداء واجبنا الدعوي الإنساني ، وهذا يجعلنا نثني عليه وعلى جهده .

لقد جاء الكتاب الذي معنا ليسلط الضوء على بعض المحطات المشرقة في التراث المسيحي الإسلامي ، من خلال استعراض سيرة وحياة بعض الأولياء والقديسين لدى أتباع الديانتين الكريمتين (الإسلام والمسيحية) ، بأسلوب حاول أن يراعي فيه مقتضى الحال قدر الإمكان ، أسلوب سلس وبعيد قدر المستطاع عن التعقيد مع مراعاة الترتيب الزمني لهذه الأحداث التي كتب عنها .

وكلنا أمل بالله تعالى أن يسعى القراء الأفاضل في مصر وسائر البلاد العربية والإسلامية لقراءة هذا الكتاب المفيد والتعرف على ما جاء فيه ، لتعم الفائدة المرجوة ، ولحل الأخوة الإنسانية في أرجاء المعمورة ، مكان العداوة والبغضاء اللذين يقودهما الجهل والتطرف والتعصب ..

والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق ،،،

**وزير الأوقاف**

( أ . د . محمد مختار جمعة )

# مقدمة سيادة مطران أبرشية
# جبيل المارونية


مطرانية جبيل المارونية

Evêché Maronite de Jbeil


م د - ز

٢٠١٨/١٩٠

جبيل، في ٢٠١٨/٣/١٤

**تقديم للكتاب**

يسعدني أن أضع مقدمة لهذا الكتاب "معطيات مشرقية في التراث المسيحي الإسلامي – دراسة إسلامية لحياة بعض القديسين في المسيحية" للدكتور أحمد محمد قيس، أملا بتلبيته من دعوة لإبراز أهمية المعرفة المتبادلة بين الديانتين المسيحية والإسلامية كوسيلة لتوطيد العيش المشترك، والتغلب على التطرف والتعصب لمدرة الجهل والتخلف الفكري.

إن نشر مفاهيم المودة والاحترام والتفاهم من خلال التركيز على النقاط المشتركة والإيمانية بين الديانتين هو واجبٌ على المسيحيين والمسلمين المثقفين. هذا ما قام به الدكتور أحمد قيس عندما قدم لنا هذه الدراسة التي تساعد المسلم والمسيحي على التعرف إلى ما يقوله القرآن الكريم عن حياة بعض القديسين.

هذا الانفتاح الذي نشهده في كتاب الدكتور قيس، والذي يُعبّر عن احترام الكاتب للديانة المسيحية، سوف يُساعد الكثير من إخوتنا المسلمين على قبول الآخر، وسوف يحثهم على المعرفة كسبيل لتثبيت العلاقة المشتركة بين المسيحية والإسلام. هذا الانفتاح الذي هو أيضا من ثوابت المسيحية عبّر عنه آباء المجمع الفاتيكاني الثاني في التصريح حول علاقة الكنيسة بالديانات غير المسيحية. ففي المقطع المخصص للديانة الإسلامية يقول: "تنظر الكنيسة بعين الاعتبار أيضا إلى المسلمين الذين يعبدون الإله الواحد الحيّ القيوم الرحيم الضابط الكل خالق السماء والأرض المكلم البشر. ويجتهدون في أن يخضعوا بكليّتهم حتى لأوامر الله الخفية، كما يخضع له إبراهيم الذي يسند إليه طيبة خاطر الإيمان الإسلامي". إن الخطيئة التي كانت منطلقاً لتفكير آباء المجمع المذكور هي أن البشر عائلة واحدة، لذلك أرادوا أن يبنوا أولاً العلاقات المشتركة بين الإسلام والمسيحية من ناحية الإيمان ومن ناحية الأخلاق، ثم نظروا بعين موضوعية إلى الماضي الذي ساد العلاقات بين أتباع الديانتين ودعوهم إلى تناسي العداوات والمنازعات، لكي ينصرفوا إلى **التفاهم المتبادل وإلى صون العدالة والأخلاق والسلام والحرية** لخير فائدة تعاونهم جميع الناس.

إن الإضاءة على هذه المعطيات المشرقية في التراث المسيحي الإسلامي تشكل دعوة إلى الذين يقبعون في ظلمة التعصب والتشدد لِيَعوا أن الحرية الدينية تجذّر في كرامة الشخص البشري. ومن غير المقبول أن يتيح تجاهُل طبيعته الشخصية، لأن الله خلق الرجل والمرأة على صورته ومثاله، وبالتالي لكلّ شخص بشري الحق المقدس بحياة كاملة على المستوى الروحي. فإذا ما منع من الانفتاح بكيانه الروحي على ما هو سام، ينغلق الإنسان في ذاته، ويصبح عاجزاً عن إيجاد الأجوبة على تساؤلات قلبه، عن معنى الحياة وامتلاك القيم والمبادئ الأخلاقية الثابتة.


شارع شهداء الدهوي - عبدليه - لبنان | ص.ب جبيل ٢٧ | عبدليه ٢٠٠٤ ٢١٧٩ (٩) ٩٦١+ | فيكس ١٤٣٩ (٩) ٩٦١+ | قاطبس ٥٤٠٢٥٥٥ (٩) ٩٦١+ | البريد ٥٤٠٢٥٥٥ (٩) ٩٦١+
Rue Dr. Chahid Dhouny - Abdelieh - Liban | B.P. Jbeil 27 | Abdelieh +961 (9) 217900 | Fax +961 (9) 543 379 | Cel +961 (3) 603 379 | Cadastre +961 (9) 721070 | www.jbeilapparchy.org

إن الكتب المقدسة تُظهر القيمة العميقة لكرامة الإنسان، وهذا ما نقرأه في المزمور الثامن عندما يقول: "ما الإنسانُ حتى تذكره، وابنُ آدم حتى تفقده؟ دون الإله خططته قليلاً، بالمجد والكرامة كللته. على صنع يديك ولّيته، وجعلت كلّ شيء تحت قدميه". هذه الكرامة السامية، التي تُعطي الشخص البشري القدرة على تخطّي مادية الأمور والبحث عن الحقيقة، هي قيمة أساسية لكل إنسان، ويجب أن تُعتبر خيراً عالمياً لا يمكن الاستغناء عنه لبناء مجتمع موجّه لتحقيق كمال الإنسان.

إن النظرة المسيحية إلى الآخر تنطلق من الاحترام العميق لكل انسان في قناعاته وخياراته لا سيما عندما تُبنى على الخير وتسعى إليه. كما تنظر باحترام إلى كل انسان في بحثه عن الله في الديانة التي يختار، ليملأ منها أن لديانات العالم الكبرى مساهمةً خاصّةً في نموّ الحضارة. هذا لأن البحث الصادق عن الله قاد الشعوب إلى احترام أكبر لكرامة الإنسان.

وجواباً على التعصب الديني والعدوانية تجاه المؤمنين الذين يُسيئون إلى حرية الإنسان العميقة وإلى المجتمع المدني، نقول أن التديّن الصحيح الذي يربطُ الإنسان بخالقه بالإيمان، هو غنى للشعوب ولأخلاقياتهم، لأنه يحتوي على مبادئ وقيم تُعتبر إرثاً لا غنى عنه. وهذا الإرثُ يُكلّم مباشرةً عقد الرجال والنساء العقل والضمير، ويذكّرهم بمتطلبات التوبة الأخلاقية، ويحثّهم على تنمية ممارسة الفضائل، وأن يقترب الواحد من الآخر بمحبة تحت عائلة الأخوّة، بكونهم أعضاءً في العائلة البشرية الكبيرة.

أمام عولمة هذا الكون الذي يحتوي على مجتمعاتٍ متعددة الإثنيات ومتعددة الطوائف، وأمام التطرّف الذي يشوّهُ جوهر الديانة ويُسيئ إلى الإنسان في كرامته، يمكن للديانات الكبرى أن تُشكّل عاملاً مُهمًا للوحدة والسلام للعائلة البشرية. فالمؤمنون، انطلاقاً من قناعاتهم الدينية الخاصة، ومن البحث العلائقي للخير العام، هم مدعوون إلى أن يعيشوا بطريقة مسؤولة التزامهم الخاص في إطار من الحرية الدينية، لأن الإيمان العميق والصادق يساعدُ الإنسان، في وسط ثقافات دينية متنوعة، على أن يُبغض ما هو مخالفٌ لكرامة كل رجلٍ وامرأة ويسعى لكفاح ثمين كلّ ما يؤولُ إلى التعايش الأخوي.

شاكرًا للكاتب على هذه الدراسة القيّمة التي، في إبرازها هذا التراث الثمين، تزيدنا قناعةً بأن التربية الدينية الصحيحة والبعيدة عن التعصب وجهل الآخر هي طريقٌ مميز لتعطي الأجيال الجديدة إمكانية أن يعتبروا الآخر أخاً وأختاً، يمكنهم السير معاً والتعاون فيما بينهم، ليشعر الجميع أنهم أعضاءٌ في العائلة البشرية الواحدة. وهذا ما يرسّخ ويقوّي العيش معًا مسيحيين ومسلمين في لبنان وفي بلدان الشرق الأوسط.

+ المطران ميشال عون

راعي أبرشية جبيل المارونية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ
وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ
وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥﴾ [البقرة: 4-5]

داويت المرضى فشفيتهم بإذن الله، وأبرأت الأكمه والأبرص بإذن الله، وعالجت الموتى فأحييتهم بإذن الله، وأما الأحمق فعالجته فلم أقدر على إصلاحه! قيل: وما الأحمق يا روح الله؟ قال: المُعجب برأيه ونفسه، الذي يرى الفضل كله له، ويوجب الحق كلّه لنفسه، ولا يوجب عليها حقاً، فذلك الأحمق الذي لا حيلة في مداواته.

السيد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام

إن شِئت قلتُ في عيسى ابن مريم عليه السلام، فلقد كان يتوسّدُ الحجر، ويلبسُ الخشن، ويأكلُ الجشب، وكان إدامُه الجوع، وسراجُه القمر، وظلالُه في الشتاء مشارق الأرض ومغاربها، وفاكهته وريحانه ما تنبت الأرض للبهائم، ولم تكن له زوجةٌ تفتنُه، ولا ولدٌ يُحزنه، ولا مال يُلفته، ولا طمع يُذلّه، دابته رجلاه، وخادمه يداه.

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

إن الحقيقة، أيّة حقيقة، لها جوانب عديدة ولها آثار مختلفة يتفاوت بعضها بعضاً وضوحاً وخفاءاً. والعلم البشري يكشف الجوانب بالتدريج، ويدرك الآثار واحداً تلو الآخر كلما تقدم وتسرّب إلى أعماق الحقيقة.

السيد موسى الصدر

# الإهداء

إلى الزهراء وأبيها

وبعلها وبنيها

وإلى العذراء ووليدها

كلمة الله وروحه فيها

وإلى مليكة ووحيدها

وعد الله في أمة نبيّنا

أهدي هذا العمل

راجياً من الله القبول

## المقدّمة

تعيش الإنسانية بشكل عام، مرحلة من مراحل الجهل والتخلّف الفكري، على الرغم مما وصلت إليه من تقدم علمي أو تكنولوجي.

حيث أن الحاكم فيها الهوى والغرائز، وينخرها المرض المادي، والعصبية بكافة أنواعها، من فكرية ومذهبية، وطائفية وعرقية، وإثنية وعرقية، وشرقية وغربية، وصولاً إلى اللاإنسانية.

وإن كان هدف الرسالات السماوية رفع مستوى النوع الإنساني إلى المستوى الملائكي، وذلك بعد إكرامه عن الجنس الحيواني.

إلّا أن المخلصين من الدعاة إلى الله أضحى جُلّ اهتمامهم العمل على إعادة الناس إلى نوعهم الإنساني بعدما تقهقروا إلى جنسهم الحيواني.

في هذا السبيل جاء هذا الكتاب، حيث حاولنا فيه تعريف المسيحيين بالمسلمين، وبالعكس، وذلك بعدما وفّقنا المولى عزّ وجل إلى تعريف المسلمين ببعضهم من خلال كتابيّنا (مصر وآل البيت) و(المؤتلف والمختلف في التفسير)، وإن كنّا نعلم مسبقاً أننا في زمان قلّ فيه من يقرأ، إلا أن ذلك لا يمنعنا من أداء واجبنا الدعوي الإنساني.

وجاء هذا الكتاب ليسلّط الضوء على بعض المحطات المشرقة في

التراث المسيحي الإسلامي، من خلال استعراض سيرة وحياة بعض الأولياء والقدّيسين المبجّلين والمحترمين لدى أتباع الديانتين الكريمتين، بإسلوب سلس وبعيد قدر المستطاع عن التعقيد مع مراعاة الترتيب الزمني لهذه الأحداث، كما أننا لم نذكر المراجع والمصادر المعتمدة لشهرتها ومراعاة للسرد التاريخي والذي أردناه أن يحاكي السياق الأدبي قدر المستطاع، كما أننا في ختام كل مقالة ذكرنا بعض الحوادث والمحطات المشابهة في التراث الإسلامي.

وكلّنا أمل بالله سبحانه وتعالى أن يلهم الناس لقراءته والتعرف إلى ما جاء فيه، لتعمّ الفائدة المرجوّة، وتحل روح الإخوة الإنسانية في أرجاء المعمورة، مكان العداوة والبغضاء الذين يقودهما الجهل الحيواني.

وفي الختام أتوجه بخالص شكري لمعالي فضيلة وزير الأوقاف في الجمهورية العربية المصرية الأستاذ الدكتور محمد مختار جمعة المحترم على تقديمه لهذا العمل.

كما أتوجه بالشكر إلى راعي أبرشية جبيل المارونية سيادة المطران الدكتور ميشال عون السامي الإحترام على تقديمه لهذا العمل أيضاً.

فشكراً شكراً، وجزاكم الله خير الجزاء.

وآخر دعوانا ان الحمد لله ربّ العالمين

**د. أحمد محمد قيس**

12/ 2/ 2018 بيروت

الرسول يوحنا المعمدان
بشارة الله والشهيد المظلوم

# الرسول يوحنا المعمدان

## بشارة الله والشهيد المظلوم

يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿... كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [آل عمران: 37-39].

وفي سورة مريم: ﴿كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾﴾ [مريم: 1-7].

إن الحديث عن الرسول يوحنا (المعمدان) بحسب الأدبيات المسيحية، أو النبي يحيى عليه السلام بحسب الأدبيات الإسلامية، يستلزم بالضرورة التحدث عن نبي الله زكريا عليه السلام وبشكل موجز، وذلك كمقدمة أو تمهيد للتعرف إلى سيرة الرسول يوحنا.

## فمن هو زكريا النبي عليه السلام ؟

كان زكريا عليه السلام من أنبياء بني إسرائيل من ذرية هارون أخي موسى بن عمران عليهما السلام ، وكان رئيس الأحبار، لذا كانت الأموال والنذورات والهدايا المقدمة من بني إسرائيل للأحبار تجبى إليه هو. ولم يكن له ولد يرث هذا المنصب، فكان من أجل ذلك في همّ وحزن وخاصة لوجود الأشرار في اليهود ومن قرابته يتربصون به ليسطوا على الأموال الخاصة بالفقراء والمساكين من بني إسرائيل. وكان زكريا متولياً أمور البتول مريم عليها السلام وقائماً بخدمتها، إذ كانت أخت زوجته. وكان زكريا عليه السلام قد أقامها في محرابٍ محافظةً عليها، فكان (كلما دخل عليه زكريا المحراب) من أجل أن يتفقدها، أو ينقل لها طعاماً، أو ينظر في حاجاتها وأوامرها، (وجد عندها رزقاً) جاهزاً لا يدري من أين يصل إليها، فتساءل و(قال: يا مريم أنىّ لك هذا) ومن يأتيك به؟ (قالت: هو من عند الله. إن الله يرزق من يشاء بغير حساب)، فأمّلته هذه الكرامة لمريم عليها السلام وتحقُّق هذه المعجزة، في أن يرزقه الله جل جلاله ولداً من زوجته العاقر الهرمة البالغة الثامنة والتسعين، بينما كان هو في العشرين بعد المئة من عمره، (هنالك) وعندما عاين هذه المعجزة الضخمة (دعا زكريا ربه، قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة) صالحة مباركة تقية (إنك سميع الدعاء) وكريم، واستجاب الله تعالى دعاءه، (فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى) ولدك الذي سيكون (مصدقاً بكلمة من الله) - والكلمة

هو المسيح عليه السلام ابن خالته الذي ولد بعده بستة أشهر - (وسيداً) مطاعاً من المؤمنين (وحصوراً) لا يأتي النساء، بل يحصر نفسه عن الشهوات ويمنعها من الأباطيل (ونبياً من الصالحين) والرسل المكرمين. فتعجب زكريا كثيراً وتساءل وهو في دهشة و(قال: رب أنّى يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر؟) قال الوحي في الجواب: (كذلك الله يفعل ما يشاء) سيرزقك ولدا من العجوز دون أن يصرفها إلى حال الشباب، وذلك عليه هين. (قال: رب اجعل لي آية) وعلامةً تدل على وقت الحمل، (قال: آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزاً) بالإشارة، فتصبح كأنك أخرساً ولا تستطيع الكلام إذا حاولت، إلا إذا كان الكلام لذكر الله تعالى فعندئذٍ تستطيع، وهذا بدوره معجزة مبينة، ولذا قال الوحي بعدئذٍ: (واذكر ربك كثيراً وسبّح بالعشيّ والإبكار).

وقد ذكر الله تعالى القصة نفسها مرة أخرى في بداية سورة مريم عليها السلام، حيث قال تعالى: (كهيعص، ذكر رحمت ربك عبده زكريا، إذ نادى ربه نداءً خفيًا) وبصورة سرية خوفاً من استهزاء الناس به لكبر سنه، (قال: ربّ إني وهن العظم مني) من الشيخوخة، فضلاً عن اللحم والعصب (واشتعل الرأس شيباً) من الكبر (ولم أكن بدعائك ربّ شقيا) ولا خائباً محروماً في ما مضى من أدعيتي إليك، لأنك عوّدتني بكرمك الإجابة، فلا تخيبني في مسألتي هذه (وإني خفت الموالي من ورائي) والأقرباء أن يتولوا الأمر من بعدي لعدم وجود وريث لي - فقد

كانوا أشرار بني إسرائيل - (وكانت امرأتي عاقراً) لا تلد، (فهب لي من لدنك ولياً) ولداً يخلفني ويكون أولى من أبناء عمومتي بخلافتي، (يرثني ويرث من آل يعقوب) بن إسحاق بن إبراهيم، أو يعقوب بن ماثان (واجعله ربّ رضياً) مرضياً عندك. عندئذ جاءه الوحي استجابةً للدعاء بقول الله سبحانه: (يا زكريا، إنّا نبشرك بغلام اسمه يحيى، لم نجعل له من قبل سميا) فهو أول من سمّي يحيى، (قال) زكريا عندئذ: (رب أنّى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً وقد بلغت من الكبر عتيا؟ قال كذلك قال ربك هو عليّ هين، وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً. قال ربّ اجعل لي آية، قال: آيتك أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً، فخرج على قومه من المحراب) وهو لا يقدر على الكلام سوى التسبيح، معتقل اللسان إلا عن ذكر الله، فعلم بذلك أن امرأته قد حملت. وبينما هو يصلي في المحراب، نزل عليه الملائكة وفي مقدمتهم جبرائيل عليه السلام - الذي ظهر بصورة شاب - ففزع منه زكريا عليه السلام، فقال جبرائيل عليه السلام يبشره - هو والملائكة الذين معه - ويطمئنه: (إن الله يبشرك بيحيى). فهو بشارة الله إلى زكريا عليه السلام.

## يوحنّا المعمدان أو يحيى بن زكريا عليه السلام

وكان يحيى عليه السلام أول من آمن بعيسى عليه السلام وصدّقه وكلٌّ منهما في رحم أمه، وذلك أن زكريا كان كما أسلفنا قد كفل مريم عليها السلام وأسكنها في صومعة بعيدة عن الناس حفاظاً عليها، وكان يحمل لها الطعام بيده ويخدمها بنفسه، وفي إحدى زياراته لها لحظ عليها آثار الحمل، فساءه

ذلك واضطرب له أشد الإضطراب، لأنه تخوف أن يتهمه بنو إسرائيل بالإعتداء عليها، فانصرف إلى زوجته يخبرها بذلك وكانت يومئذٍ حاملاً بيحيى عليه السلام، فقالت له: ((أئتني بها انظر إليها))، فلما دخلت مريم عليها السلام عليها لم تقم لها غضباً واستنكاراً، فأحسّت فجأة بحركة عنيفة في بطنها ودفعٍ وإزعاجٍ لها من جنينها، ثم أحسّت كأنها تسسمع جنينها قائلاً: ((يا أمَّه! تدخل عليك سيدة النساء، مشتملة على سيد الرجال، ولا تقومين لها !))، وأحسّت كأن جنينها في رحمها ينحني احتراماً لما في بطن مريم، فهبّت من مقامها، وكان هذا العمل جواباً على شكوكها وشكوك زوجها، وأدركا أن هذه آية من آيات الله تعالى... وكان هذا أول تصديق بعيسى عليه السلام. وقد ولد يحيى عليه السلام قبل عيسى عليه السلام بستة أشهر.

ثم إن يحيى عليه السلام بعد ولادته آتاه الله تعالى النبوة في سن مبكرة ويقال: عندما كان أبن ثلاث سنين، وخاطبه سبحانه بقوله (يا يحيى خذ الكتاب بقوة)، وقال فيه: (وآتيناه الحكم صبيا، وحناناً من لدنا) أي عاطفة ورحمة منا على العباد لدعوتهم إلى طاعة الله تعالى، (وزكاةً) أي جعلناه تزكية لمن قبل دعوته وأطاع أمره، (وكان تقياً) لم يعمل قط خطيئة ولم يهمّ بها، (وبراً بوالديه ولم يكن جباراً عصيا) ثم أثنى عليه تعالى بالتحية والسلام فقال جلّ جلاله: (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا). وكفاه بذلك فخراً وشرفاً.

وقد بلغ يحيى عليه السلام الغاية القصوى في الزهدة والعبادة وكثرة البكاء من خشية الله تعالى منذ صغره، فإنه دخل في صباه بيت المقدس

ورأى الأحبار والرهبان وعليهم مدارع الشعر وبرانس الصوف، قد خرقوا تراقيهم وأدخلوا فيها السلاسل وشدوها إلى سواري المسجد، فتأثر عندئذ بالغ التأثر، وجاء أمه طالباً أن تنسج له مدرعة من شعر وبرنساً من صوف كي يماثل الأحبار ويشاركهم في عبادتهم، فاستمهلته أمه حتى تستشير زوجها وتستأذنه في ذلك، فلما جاء أبوه زكريا عليه السلام وأخبرته أمه بما قاله يحيى عليه السلام، قال له أبوه: (يا بني، ما يدعوك إلى هذا وأنت بعد صبي صغير؟) فقال: (يا أبه، أما رأيت أصغر سناً مني قد ذاق الموت؟)، قال: (بلى)، ثم أمر زوجته أن تجيب ابنها إلى ما سأل، ففعلت، وتدرّع يحيى عليه السلام بمدرعة الشعر، ووضع البرنس على رأسه، وأقبل على العبادة في المسجد مع الأحبار والرهبان وهو أصغرهم سناً، يبكي ليله ونهاره من خشية الله، حتى نحل جسمه وغارت عيناه ودق عظمه، وحتى جعل الأحبار والرهبان يبكون مع والديه على بكائه رقةً له وتأثراً بتقواه، بل إن أباه جعل يتجنب في مواعظه في حضور ولده يحيى عليه السلام، أن يذكر الجنة والنار شفقة عليه وحذراً من تلفه وهلاكه، وقد راجعه أبوه يوماً في كثرة نحيبه ونواحه وهو على هذه السن من الصغر، فقال لأبيه: (إنك أنت الذي دفعتني إلى ذلك)، فقال زكريا عليه السلام: (ومتى كان ذلك يا بني؟)، قال: (ألم تقل يا أبتاه: إن بين الجنة والنار لعقبة لا يجوزها إلّا البكّاؤون من خشية الله؟)، فقال زكريا عليه السلام: (بلى يا ولدي، وأنت وشأنك!).

وكان يحيى عليه السلام كثيراً ما يخرج إلى البراري، هائماً على وجهه ليخلو إلى ربه بعيداً عن الناس. وكان إبليس اللعين يأتيه كثيراً ويتحدث

إليه، فحدث مرة بعد أن سأله يحيى عن أساليبه وطرقه وفخوخه لاصطياد الناس وإغوائهم، أن سأله يحيى عليه السلام: (يا أبا مرة، هل ظفرت بي قط؟)، فقال إبليس: (لا، ولكن فيك خصلة تعجبني)، فقال يحيى عليه السلام مضطرباً: (ما هي؟)، فقال: (أنت رجل أكول، فإذا أكلت بشمت وأتخمت، فيمنعك ذلك عن بعض الصلاة والقيام بالليل)، فقال يحيى عليه السلام عندئذٍ: (إني أعطي الله عهداً ألا أشبع من طعام حتى ألقى وجه ربي).

وقد بشّر يحيى عليه السلام الناس بظهور المسيح عليه السلام، وكان ذلك قبل ظهور عيسى عليه السلام بنيفٍ وعشرين سنة، فلما ظهر المسيح عليه السلام بدعوته للناس وأتاهم بشريعة الإنجيل، صدّق به يحي عليه السلام وتابعه. وكان عيسى عليه السلام يبعث برسلٍ وحواريين إلى فرق بني إسرائيل لوعظهم وتعليمهم أحكام الدين والشريعة، وقد بعث بيحيى عليه السلام مرة إلى قبيلة منهم كان على رأسها حاكم صدّق بيحيى عليه السلام واحترمه، وكان يطيع أوامره. وكان عند هذا الملك أمرأة كبرت وأسنّت، فأرادت أن تزوجه ابنةً لها من زوج سابق، فلما عرضتها عليه نهاه يحيى عليه السلام عن ذلك وقال له: «لا يجوز لك الزواج من بنت زوجتك» فغضبت الأم كثيراً وأسرّتها في نفسها. والسبب وراء هذا التحريم بحسب جميع الرسالات السماوية أن إبنة الزوجة المدخول بها تعتبر من ربائب الزوج أي كإبنته وهي من محارمه المؤبدين.

فلمّا جنّ الليل، أسكرت العجوز الملك حتى فقد وعيه وتعتعه السكر، ثم ألبست ابنتها أفخر لباس، وزينتها أكمل زينة، وأكثرت بها

من المغريات الجسدية الجنسية ثم أظهرتها أمامه، فجنّ جنونه إفتناناً بها ورغب فيها، فلما أقبل عليها قالت له بناءً على ما كانت أمها قد علّمتها «إنني لا أرضى حتى تدفع لي مهراً يرضيني»، فلما سألها عما يرضيها من مهر، قالت: «رأس يحيى بن زكريا» فأرسل اللعين إليه فاستدعاه، ثم أمر بذبحه في حضورها، فذبح ووضع رأسه الشريف في طشت من ذهب أمامه.

وإتماماً للفائدة، وخاصة لأننا تعرضنا في بداية الكلام عن النبي زكريا عليه السلام فإن استشهاده كان بحسب الروايات التاريخية على الشكل التالي: كان إبليس يبرز للناس بهيئة رجل وقور (عليه اللعنة)، ويدور في المجالس يذيع في الناس أكاذيب ومفتريات عن زكريا عليه السلام، ومنها أنه والعياذ بالله هو الذي اعتدى على العذراء البتول مريم عليها السلام، وجعل يحرّض الناس على قتله، حتى أثّر على بعض منهم وهمّوا بقتله، فطلبوه فهرب إلى وادٍ كثير الشجر، فانشقت له شجرة كبيرة، فدخلها فانطبقت عليه، فأخذ اللعين إبليس بطرف ردائه وأمسكه وأخرجه من الشجرة ليكون علامة على مكانه، ثم أرشد شرار بني إسرائيل إليه بعد أن برز لهم بصورة بشر، وقال: «إنه سحر هذه الشجرة فأنشقّت له فدخلها»، فلما لم يصدقوه أراهم طرف الثوب، ثم علمهم أن يقطعوا الشجرة وينشروها، ففعلوا، ونشروا هذا النبي عليه السلام من رأسه إلى قدميه طولاً مع الشجرة، فلحق بالأسلاف من أنبياء الله الصالحين وعباده المكرمين. . وقد أكرمه الله تعالى بأن أرسل إليه جمعاً من ملائكته قاموا بتغسيله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه بما يستحقه من الإجلال والإكرام.

إن كل ما تقدم ذكره كان بحسب التراث الإسلامي، أمّا أخبار النبي زكريا ويوحنا عليهما السلام في التراث المسيحي، فإنها جاءت تقريباً مطابقة للمعنى العام، وإن اختلفت العبارات أو المصطلحات. وقد ورد ذكر يوحنا عليه السلام في العهد الجديد، وخاصة حول ظروف مولده، ونشأته، وأحواله بشكل عام. وسنعمد إلى نقل هذا التاريخ بحسب النصوص المسيحية، وبشيئ من التصرف، ومن عدة مصادر ومراجع وباختصار غير مُخل بالمطلوب.

## عن ولادته وعائلته يقولون:

حسب المصادر الرسمية في المسيحية فإن والد يوحنا هو زكريا النبي ووالدته هي أليصابات وكلاهما من أسباط بني إسرائيل وتحديداً من السبط الذي أوكل إليه حسب رواية العهد القديم منذ أيام النبي موسى شؤون الخدمة الدينية للأسباط وهو سبط اللاويين، وكانت مهام السبط تشمل خدمة تابوت العهد الذي كان في المعبد في القدس القديمة، وهذه الخدمة خاصة جداً بحيث يورث الآباء مهنتهم للأبناء. وقد كانت عادة كل سبط أن يقسم بدوره إلى مجموعة من الفرق، بحيث تشكل كل فرقة من ذرية أحد شيوخ السبط، وبحسب إنجيل لوقا فإن يوحنا ينتسب لفرقة أبيا (لوقا 1/ 5) أما أليصابات فهي بدورها من سبط لاوي، إذ يشير إنجيل لوقا أنها من ذرية هارون شقيق موسى النبي، ومن المعروف أن سبط اللاويين إنما هو من ذرية هارون، حسب ما جاء في رواية سفري الخروج والعدد، غير أنه صمت حول

فرقتها. (لوقا 1/ 5) وسبب تقسيم سبط اللاويين بنوع خاص إلى فرق يعود لكثرة عددهم، فخلال عهد الملك هيرودس كان يوجد نحو عشرين ألف كاهن في كل أنحاء البلاد، وهو عدد ضخم من أن يتمكن معه كل الكهنة من الخدمة في الوقت نفسه، ولذلك تم تقسيم الكهنة إلى أربع وعشرين فرقة منفصلة قوام كل فرقة بين 800 و1000 كاهن وذلك حسب تعليمات مذكورة في سفر أخبار الأيام الأول (4).

وعن حياة هذه الأسرة يقول الإنجيل: وكان كلاهما بارين أمام الله. يسلكان وفقاً لوصايا الرّب وأحكامه كلها بغير لوم. (لوقا 1/ 6) غير أن أليصابات كانت عاقراً وهي وزوجها متقدمين في السن. وفي المجتمعات الشرقية القديمة ومنها المجتمع اليهودي فإن قيمة المرأة كانت تقاس بمقدار قدرتها على إنجاب الأطفال، ولذلك فإن التقدم في السن بدون إنجاب غالباً ما يؤدي إلى مشكلات شخصية وعار اجتماعي، إلى جانب ذلك كان ينظر إليه كمصاب من قبل الله لعدم صلاح العائلة. ما يشكل - من وجهة نظر المجمع - سبباً إضافياً لمزيد من النبذ والعزلة. وبالتالي تنطوي آية إنجيل لوقا إلى انتقاص من وجهة نظر المجتمع آنذاك: وكان كلاهما بارين أمام الله، يسلكان وفقاً لوصايا الرب وأحكامه كلها بغير لوم، ولكن لم يكن لهما ولد، إذ كانت أليصابات عاقراً وكلاهما قد تقدما في السن كثيرا (لوقا 1/ 5-6) وبالتالي فإن إنجيل لوقا يحاول أن يظهر أن ما قد يعتبر تناقضاً في الظاهر لا يمكن أن يحتمل تناقضاً حتمياً من وجهة نظر الله. ويقول إنجيل لوقا أن عائلة زكريا كانت تسكن في جبال يهوذا التي تقع إلى

الجنوب الشرقي من القدس على الطريق نحو بيت لحم، وقد قال أغلب آباء الكنيسة وكذلك مؤرخون معاصرون أنها قرية يطا قرب الخليل والمعروفة تاريخياً ياسم حبرون.

**البشارة لزكريا عليه السلام**

عندما حان موعد فرقة أبيا التي ينتسب إليها زكريا في خدمة الهيكل والتي تستمر وفق التقاليد المتوارثة من أيام سفر أخبار الأيام الأول لمدة أسبوعين، سافر زكريا نحو القدس، وهناك يجري الكهنة قرعة لمعرفة من يدخل إلى الهيكل ليقوم بحرق البخور فوقعت القرعة على زكريا، وهو الأمر الذي يمكن ألا يحدث ولا حتى مرة واحدة في حياة الكاهن. أما حرق البخور فيتم في الغرفة الداخلية في الهيكل المعروفة باسم القدس، وبشكل عام فإن المعبد مقسوم إلى ثلاثة أقسام الأول للعامة والثاني هو القدس والذي يسمح للكاهن فقط دخوله، والثالث هو قدس الأقداس ولا يدخله الّا رئيس الكهنة ولمرة واحدة في العام يوم عيد الغفران، وكان البخور يحرق مرتين يومياً كل صباح ومساء كما ذكر في مزامير داود، ويتزامن إحراق البخور مع رفع الناس لصلواتهم وطلباتهم إلى الله.

وبينما كان زكريا يحرق البخور: ظهر له ملاك من عند الرب واقفاً عن يمين مذبح البخور (لوقا 1) ويكشف إنجيل لوقا على لسان الملاك أنه جبرائيل، ووفق المعتقدات المسيحية هو نفسه الملاك الذي نقل بشارة حمل مريم العذراء. أما ردة فعل زكريا فقد كانت الخوف

الشديد، لذلك طمأنه الملاك: لا تخف يا زكريا فإن طلبتك قد سمعت، وزوجتك أليصابات ستلد لك إبناً (لوقا 1) ويذكر في العهد القديم عدة قصص متشابهة عن تبشير الملائكة بولادة شخص، فحصل ذلك مع شمشون الجبار والنبي إيليا، وكما حصل في بشارة يسوع اللاحقة فقد أخبر الملاك ما يجب أن يسمى به الطفل عندما يولد: وأنت تسميه يوحنا (لوقا 1/ 13) وتابع الملاك بأن مولد يوحنا سيسبب الفرح والإبتهاج ليس فقط لأسرته بل سيفرح الكثيرون بولادته (لوقا 1/ 14) وذلك كما يقول الملاك في إنجيل لوقا لأنه سيكون ممتلئاً من الروح القدس، منذ أن يكون في بطن أمه، ولأنه سيرد الكثيرين من بني إسرائيل إلى الرب إلههم، ولأنه سيكون له روح إيليا وقدرته فيرد العصاة إلى حكمة الأبرار وبالتالي فهو عظيم أمام الرب إذ يهيئ له شعباً معداً. ولهذه المناسبة، وكما طلب سابقاً من شمشون وإيليا وغيرهما، فإن الطفل لن يشرب خمراً ولا مسكراً (لوقا 1/ 18) ويعتبر ذلك جزءاً من عهد النذور التي يعلنها الشخص تجاه الله كما جاء في غير موضع من التوراة.

## زكريا وتساؤله عن البشارة:

يعتبر موضوع الشك سمة بارزة في مراحل مختلفة من الكتاب المقدس، فقد أظهر كل من إبراهيم وسارة وموسى والأسباط وجدعون قبلاً حين بلّغوا رسالة ما شكًا في إمكانية تحققها، وكذلك فعل زكريا حين بلّغه الملاك جبرائيل ذلك، إذ ظنّ أنه من المستحيل بالنسبة له

ولزوجته العاقر في شيخوختهما، أن يستطيعا إنجاب طفل رغم كلام الملاك الحاسم وما تبعه من إغداق صفات على الطفل الموعود. غير أن جواب الملاك كان واضحًا: أنا جبرائيل الواقف أمام الله، وقد أرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا. (لوقا 1/ 19) وبعد أن طلب زكريا دليلاً على صحة كلام الملاك الذي سيتم في حينه، (لوقا 1/ 19) أخبره الملاك أنّ زكريا لن يستطيع الكلام حتى يولد الطفل. (لوقا 1/ 19)

وحسب رواية إنجيل لوقا فإن زكريا قد أطال الوقت داخل الهيكل، وأنّ الشعب كان واقفًا في الخارج ينتظر ليقوم الكاهن الذي أحرق البخور بتقديم البركة اليومية كما هو وارد في سفر العدد، وعندما خرج زكريا ولم يستطع أن يتكلم، عرف الشعب أنه قد رأى رؤيا داخل الهيكل، فأخذ يشير إليهم وظلّ أخرسًا، ولما كملت أيام خدمته رجع إلى بيته. (لوقا 1\23) ثم يؤطر إنجيل لوقا حادثة الحمل بأنها: «وبعد تلك الأيام، حبلت أليصابات». (لوقا 1\25) إلا أنها كتمت أمر حملها خمسة أشهر وأبدت سرورها: «هكذا فعل الرب بي في الأيام التي فيها نظر إلي، لينزع عني العار بين الناس». (لوقا 1\25).

## بشارة مريم وزيارتها أليصابات:

بعد بشارتها سافرت مريم من الناصرة إلى بيت أليصابات في جبال يهوذا، (لوقا 1\39) وعندما ألقت سلامها على أليصابات وفق رواية إنجيل لوقا قفز الجنين في بطن الأخيرة، فقالت أليصابات: مباركة أنت بين النساء، ومباركة ثمرة بطنك. (لوقا 1\42) وقد أضافت الكنيسة

هذه العبارة لاحقًا إلى السلام الملائكي. ثم أردفت: فإنه ما إن وقع صوت سلامك في أذني، حتى قفز الجنين ابتهاجًا في بطني. (لوقا 1\44) فأنشدت حينها مريم النشيد المعروف باسمها، ويقول الإنجيل أن مريم مكثت في بيت أليصابات ثلاثة أشهر وأنها بعد أن ولد يوحنا عادت إلى بيتها. (لوقا 1\56).

**مولد الطفل وختانه:**

ولد يوحنا لعائلة زكريا، وانتشر الفرح بين سكان المنطقة وأقارب العائلة، (لوقا 1\58) وفي حفلة ختان الطفل التي تتم وفق الشريعة اليهودية في اليوم الثامن لميلاده، والتي خلالها يمنح اسما، كاد أفراد العائلة أن يسموه زكريا على اسم أبيه، إلا أن أليصابات اعترضت وطلبت أن يسمى يوحنا. (لوقا 1\60) فأبدى الحضور استغرابهم لعدم وجود أحد في العائلة بهذا الاسم، وسألوا زكريا رأيه في الموضوع، فأخذ لوحًا وكتب عليه اسمه يوحنا، (لوقا 1\62) تمامًا كما طلب منه الملاك جبرائيل حين تراءى له في المعبد، وفي حال كما يقول إنجيل لوقا، انفتح لسان زكريا وتكلم مباركًا الله وردد نشيدًا يصفه علماء الكتاب المقدس باسم نشيد زكريا، استرجع خلاله زكريا ملخصًا لتاريخ بني إسرائيل مذكرًا بعظمة أعمال الله من إبراهيم وإلى الأبد.

**ومما جاء في نشيد زكريا عليه السلام:**

(أنت أيها الطفل سوف تدعى نبي العليّ، لأنك ستتقدم أمام الرب لتعد طرقه. لتعطي شعبه المعرفة بأن الخلاص هو بمغفرة خطاياهم،

بفضل عواطف الرحمة لدى إلهنا، تلك التي تفقدنا بها الفجر الشارق من العلى.

وقد تحولت حادثة مولد يوحنا إلى موضع الحديث والنقاش في جبال اليهودية كلها كما يذكر في إنجيل، (لوقا 1/ 65) وكان الناس يتساءلون حول مستقبل هذا الطفل: فقد كانت يد الله معه. (لوقا 1/ 66).

## نشاط يوحنا ومواعظه

يقول إنجيل لوقا أن يوحنا بدأ نشاطه العلني في السنة الخامسة عشر من حكم تيبريوس، (لوقا 3\1) ومن الثابت تاريخيًا أن تيبيروس أصبح إمبراطورًا عام 14 هذا يعني أن يوحنا المعمدان قد بدأ نشاطه بين عامي 28 أو 29، (15) ويُسمى في النص الإنجيلي «يوحنا بن زكريا» ويقول أنه انتقل من البرية إلى النواحي المحيطة بنهر الأردن، ويشير دارسو الكتاب المقدس إلى رمزية خاصة في اختيار نهر الأردن، ففي هذا المكان تحديدًا وعلى ما يروي سفر يشوع جدد بنو إسرائيل ميثاقهم مع الله بعد أن تاهوا في الصحراء أربعين عامًا. [16] ومن هناك أخذ ينادي بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا. ويضيف إنجيل متى تفصيلاً آخر: كان يوحنا المعمدان يبشر قائلاً: «توبوا فقد اقترب ملكوت السموات». [متى 3\2] وهو بذلك كما يرد في إنجيل متى ومرقس ولوقا ويوحنا يحقق النبؤة التي وردت عنه في سفر أشعياء.

صوت منادٍ في البرية، أعدّوا طريق الرّب واجعلوا سبله مستقيمة.

كل وادٍ سيردم وكل جبل وتل سينخفض وتصير الأماكن الملتوية مستقيمة، والأماكن الوعرة طرقًا مستوية، فيبصر كل البشر الخلاص الإلهي.

وبذلك فحسب علم اللاهوت لم يكن يوحنا بن زكريا ينادي بالتوبة إلى الله والدعوة لغفران الخطايا فقط، بل كان يمهد الطريق ويعدّه أمام يسوع القادم من بعده. وحسب الرواية الرسمية في الأناجيل، فإن نشاط يوحنا نال صدىً وتجاوبًا في تلك المناطق فتقاطرت إليه الجموع طالبة التوبة حتى خرج إليه أهل أورشليم ومنطقة اليهودية كلها وجميع القرى المجاورة للأردن. (متى 3\5) ويقول التفسير التطبيقي للعهد الجديد أنه بلا شك فقد وفد إليه البعض بدافع الفضول، خصوصًا أن صفات يوحنا كانت غريبة كما تجمع الأناجيل الإزائية على وصفه، يلبس ثوبًا من وبر الجمال ويشدّ وسطه بحزام من جلد ويأكل الجراد والعسل، (متى 3\4) وهو ما يناسب عمومًا الحياة البرية التي كان يوحنا قد عاشها وإن كنا لا نعرف وافر التفاصيل عنها. أيضًا فإن من العناصر التي ساهمت بجذب الناس نحو يوحنا كما يقول النقاد هو هجومه العنيف على الملك هيرودوس أنتيباس والقادة الدينيين من فريسيين وصدوقيين، وإظهاره أخطاءهم على العلن وحاجتهم للتوبة كعامة الشعب، وذلك كان جسارة كلفته حياته لاحقًا.

كان يوحنا يعظ الجموع ويوبخها حتى أنه وصفها بأولاد الأفاعي، (لوقا 3\7) ويخصّ إنجيل متى العبارة السابقة للفريسيين والصدوقيين منهم فقط، وربما يعود سبب ذلك لأن إنجيل لوقا وجه إلى اليونانيين

الذين لا يعرفون تقسيمات المجتمع اليهودي وأحزابه على العكس من إنجيل متى الذي وجه إلى يهود الشتات. وأيًا كان فإن سياق النصّ يظهر أن يوحنا إنما كان يقرع من يكتفي بالمعمودية لغفران الخطايا دون أن يدعمها بالأعمال: فاثمروا ثمارًا تليق بالتوبة. (لوقا 3\8) أي أنه دعاهم لعدم العماد خوفًا من العقاب بل حبًا بالله. كما يقرع يوحنا أيضًا اليهود منتقدًا عقيدة شعب الله المختار: لا تقولوا لنا إبراهيم أبًا، فإني أقول لكم إن الله قادر أن يطلع من هذه الحجارة أولادًا لإبراهيم. (لوقا 3\8) ويقول التفسير التطبيقي للعهد الجديد أنه لا بدّ أن كثيراً من اليهود قد صدموا حينما سمعوا يوحنا يقول أن النسب والبنوة لا تنفع، وأن العلاقة مع الله لا تحددها سلاسل الأنساب.[19] ويقدّم قولاً كان له دور بارز في النقاشات اللاهوتية اللاحقة في الحياة المسيحية حول علاقة الإيمان والعمل بالخلاص: ها إن الفأس أيضًا قد وضعت على أصل الشجر: فكل شجرة لا تثمر ثمرًا جيدًا تقطع وتطرح في النار. (لوقا 3\9) أي أن يوحنا من جديد أعاد الإعلان حول تلازم الأعمال الصالحة مع الإيمان الصادق. وعندما سألته الجموع عن الوصايا التي من الواجب اتباعها نصحهم يوحنا بعدم الطمع وإعالة الفقراء ومشاركة المحتاجين، وكذلك الابتعاد عن الأنانية واللامبالاة. ولم تشمل دعوة يوحنا اليهود فقط بل الجند الرومان أيضًا، فعندما بادروا بسؤاله قال لهم: لا تظلموا أحداً، ولا تشتكوا كذبًا على أحد. (لوقا 3\14)

أما المعمودية التي كان يوحنا يقوم بها فهي رمز للاغتسال من الخطايا وبالتالي شكلت طقسًا عمليًا لرسالته القائمة على التوبة

والإصلاح. نشاط يوحنا المعمدان كان قد تم خلال فترة عصيبة من تاريخ بني إسرائيل، إذ لم يرسل نبي لبني إسرائيل منذ أربعة قرون، وتحديدًا منذ عهد النبي ملاخي حسب الديانة اليهودية، وهذا ما خلق حالة من الانتظار لدى بني إسرائيل ليس فقط لنبي بل «للمسيح» الذي وعد به من أيام داود مخلصًا لبني إسرائيل ومقيمًا للعدل والسلام على الأرض، ولذلك «كان الجميع يسائلون أنفسهم عن يوحنا: هل هو المسيح؟. (لوقا 3\15) أما جواب يوحنا فقد كان واضحًا بأنه ليس هو المسيح، بل قال إن المسيح حينما يأتي من بعده، لا يستحق يوحنا أن يحل رباط حذائه، وقال أيضًا أن المسيح حينما يأتي سيعمد بالروح القدس. (لوقا 3\16) ووفق العقائد المسيحية فإن يوحنا إنما كان يشير في حديثه إلى يسوع نفسه، وقد كتب العديد من اللاهوتيين وآباء الكنيسة عن سبب استخدام يوحنا للمعمودية، ويمكن جمع أبرز الآراء بأن يوحنا قد استخدم عملاً رمزيًا يستطيع الناس أن يروه ليدركوا ما هو مطلوب منهم أن يفعلوه، فالاغتسال الخارجي إنما هو رمز لاغتسال داخلي من الخطيئة وبمعنى آخر فإن يوحنا كان يعمد الناس علامة على أنهم التمسوا من الله أن يغفر خطاياهم، وغير أن العماد يظل علامة خارجية أما العلامة الحقيقية فهو بتغيير مواقفهم وارتدادهم عن الخطيئة. إلى جانب أن المعمودية عادة منتشرة في المجتمع اليهودي، وكثيرًا ما كان اليهود يعمدون غير اليهود الراغبين في اعتناق اليهودية، أما الكنيسة الأولى فقد ذهبت بالمعمودية لتفسير جديد.

إنجيل يوحنا بدوره يستعرض يوحنا المعمدان بأسلوبه اللاهوتي

الخاص، ومن المتفق عليه بين علماء الكتاب المقدس أن إنجيل يوحنا ليس تاريخ حياة بل مجرد تقديم فكري عن يسوع وذلك يغلب عليه الطابع اللاهوتي والفلسفي الماورائي لأقوال يسوع وتعاليمه بل ومعجزاته أيضًا فيه، في إنجيل يوحنا يسأل الكهنة اليهود يوحنا عن ماهيته ودوره، فينفي أنه المسيح أو أنه إيليا الجديد أو أنه حتى نبي، وعندما سألوه عن لماذا يعمد أشار إلى الآتي من بعده. (يوحنا 13/ 1-27).

**شهادته المباركة:**

تزوج الملك هيرودس من هيروديا زوجة أخيه. وكان هيرودس يخاف يوحنا إذ قال له بأنه لا يجوز زواجه بإبنة أخيه فهذا لا يحل له. لذلك، سجن هيرودس يوحنا وكانت هيروديا حاقدة على يوحنا من ذلك وفي عيد ميلاد الملك هيرودس دعا العظماء والقواد لعشاء فاخر ودخلت ابنة هيروديا (سالومي) لترقص فسرّ هيرودس الملك والمتكئين معه وقال الملك لها أطلبي ما تشائين وسوف يتحقق حتى ولو نصف مملكتي وأقسم على هذا أمام الجمع فخرجت الصبية لعند أمها وتشاورت معها وطلبت رأس يوحنا المعمدان على طبق فحزن الملك جداً لأجل القسم. وأرسل الملك سيافاً وأمره أن يأتي برأس يوحنا. وأتي برأسه للصبية، والصبية بدورها أعطته لأمها ودفن الرأس في دمشق في الجامع الأموي حالياً حيث يوجد له ضريح معروف جداً.

**ألقابه وسبب تسميته بالمعمدان**

اللقب الأشهر ليوحنا هو المعمدان وذلك لأنه عمّد يسوع بحسب

المعتقد المسيحي، غير أن هذا اللقب لم يكن متداولاً على نطاق واسع في كتابات العهد الجديد بل إنه استعمل للإشارة إلى يسوع نفسه كما في الرسالة إلى العبرانيين 6/ 20. وكان أول من دعا يوحنا بالمعمدان هيراكليون الغنوصي في القرن الثاني خلال شرحه إنجيل يوحنا، وبعد ذلك استعمله عدد من كبار آباء الكنيسة مثل كليمنت الإسكندري وأوريجانوس، ومن خلالهم دخل حيّز الإستعمال على نطاق واسع، وقد قبلت الكنيسة، بوصفها المؤسسة الرسمية في المسيحية، تسمية المعمدان والسابق والمعمدن للمسيح والشهيد الأول والصائم وأقرب صديق للمسيح كألقاب أخرى مضافة إليه، غير أن الكنائس ذات التراث الشرقي والكنائس ذات التراث الغربي شاع في كليها على حد سواء لقب المعمدان حتى أصبح رديفاً لاسمه اليوم.

## نظرة المذاهب المسيحية ليوحنا المعمدان

### الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية

تعتقد الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية أن يوحنا كان آخر أنبياء العهد القديم، وأنه بمثابة الجسر الذي يربط بين فترة الوحي والعهد الجديد. كما أنهم يقولون أنه عند وفاته، بشر بأن يسوع المسيح سيلحق به. كما يعتقدون أن يوحنا المعمدان وقت موته ظهر لأولئك الذين لم يسمعوا عن السيد المسيح، وبشرهم به.

يوحنا أيضا هو أحد قديسي الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية وكل يوم ثلاثاء على مدار السنة مكرس لذكراه.

**تحتفل به الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية في ستة أيام منفصلة:**

23 سبتمبر ذكرى الحمل بالقديس يوحنا.

7 يناير يوم القديس يوحنا. (وهو ذكرى نقل بقايا يده اليمنى من أنطاكية إلى القسطنطينية في 956).

24 فبراير العثور للمرة الأولى وللمرة الثانية على رأس القديس يوحنا.

25 مايو العثور الثالث على رأس القديس يوحنا.

24 يونيو ذكرى ميلاد القديس يوحنا.

29 أغسطس ذكرى قطع رأس القديس يوحنا.

بالإضافة إلى 5 سبتمبر هو ذكرى الاحتفال بزكريا الكاهن وإليصابات، والدا يوحنا المعمدان. كما تحتفل الكنيسة الأرثوذكسية الروسية في يوم 12 أكتوبر بنقل اليد اليمنى للقديس يوحنا من مالطا إلى غاتتشينا في عام 1799.

**الكنيسة الكاثوليكية الرومانية**

تحتفل الكنيسة الكاثوليكية الرومانية بيوحنا المعمدان في يومين من العيد:

24 يونيو ميلاد القديس يوحنا المعمدان.

29 أغسطس ذكرى قطع رأس القديس يوحنا المعمدان.

## آراء الديانات الأخرى

النظرة الإسلامية، وإن كنا قد تناولناها بالتفصيل سابقاً، إلا أن مقتضى السياق يفرض ذلك وبإيجاز:

يعرف يوحنا المعمدان باسم يحيى باللغة العربية وفي القرآن. حيث ورد ذكره في سورة مريم، كابن لزكريا كافل مريم وابن خالة عيسى. يورد القرآن الكريم قصة مماثلة لتلك التي في إنجيل لوقا، بما في ذلك عقم زوجة زكريا، وتبشير الملائكة لزكريا بمولد يحيى.

يحيى من وجهة النظر الإسلامية أوتي الكتاب والحكمة من قبل الله، بينما لا يزال طفلا. قال تعالى: (يا يحيى خذ الكتاب بقوة وأتيناه الحكم صبيا) كما وصفه بأنه «نبيا من الصالحين»، قال تعالى: (فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقاً بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين).

## الصابئة المندائيون

يقدس المندائيون يوحنا المعمدان ويؤمنون به، ويسمى عندهم يحيى. وهو آخر وأعظم الأنبياء عندهم. يتفق المندائيون على أنه عمد يسوع (عيسى)، إلا أنهم يرفضون الاعتراف بإن يسوع منقذ أو نبي. كما أنهم يرون يحيى هو المسيح الحقيقي.

ووفقا لنص من كتابهم الأقدس كنزا ربا، فأن يحيى مات على يد أحد الملائكة، الذي ظهر له على هيئة طفل عمره ثلاث سنوات طفل

ليعمده. فطن يحيى أنه ملاك وعلم ما أرسل إليه، وبمجرد أن لمس يده، مات على الفور. بعد ذلك، دفن الملاك يحيى.

## كنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة

تقر كنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة، بوجود يوحنا المعمدان. وفق اعتقادهم، فأن يوحنا تم ترسيمه بواسطة ملاك، عندما كان عمره 8 أيام، للإطاحة بمملكة اليهود وإعداد الناس للرب. كما يدعي أنه قد عمد بعد حين في طفولته.

اتباع كنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة يعتقدون بأن يوحنا المعمدان ظهر على ضفاف نهر سسكويهانا بولاية بنسلفانيا، لجوزيف سميث وأوليفر كودري في 15 مايو عام 1829، ورسّمهم كهنة. وفقا لكتاب مورمون، فإن يوحنا المعمدان هو آخر أنبياء العهد القديم، وأول أنبياء العهد الجديد، وأنه تم إرساله ليرسّم كهنتهم.

## نظرة البهائية

ورد ذكر يوحنا المعمدان في العديد من كتابات بهاء الله، مؤسس البهائية، وهو يعتبر عند البهائيين بوصفه نبي. ادعى بهاء الله أنه حضرة الباب، وكان تجسيدا لعودة يوحنا المعمدان الروحية. ورغم ذلك، يضع البهائيّون حضرة الباب في منزلة أعلى بكثير من يوحنا المعمدان.

## نظرة الغنوصيين

يعتقد الغنوصيون، أن يوحنا المعمدان تجسيد للنبي إيليا في

اعتقادهم، لأن إيليا من أنبياء العهد القديم، لذا فإن إيليا لا يعرف المسيح (في العهد الجديد)، وبالتالي كان لا بد من أن تتناسخ روحه طبقا للاهوت الغنوصي، وذلك طبقا لنبوءة النبي ملاخي، بأنه يجب أن يعود إيليا أولا ليبشر بقدوم يسوع المسيح.

## كنيسة الموحدين

يعتقد أتباع كنيسة الموحدين الكورية المنشأ، بأن الله أرسل يوحنا لمساعدة يسوع لينشر رسالته في أرض يهودا. وكان على يوحنا أن يبذل قصارى جهده لإقناع الشعب اليهودي أن يسوع هو المسيح. وكانت هذه المهمة ضرورية لضمان نجاح يسوع في تبليغ رسالته. إلا أن فشل يوحنا في مهمته كان هو العقبة الرئيسية أمام يسوع لتبليغ رسالته.

وقبل الختام، نشير إلى أننا وأثناء إعداد هذا البحث وجدنا بعض الآراء لمجموعة من المعاصرين الذين يثيرون الشبهات حول صدق إستشهاد النبي يحيى عليه السلام، إذ أنهم يفترضون بقاءه حياً كحال السيد المسيح عليه السلام.

وبعد اطلاعنا على آرائهم وجدنا أنها لا تستحق التعليق أو الشرح، حيث أن معظم أقوالهم وادعاءاتهم لا تستند إلى فرضية منطقية (علمية أو تاريخية)، لذا أثرنا الإكتفاء بالإشارة إليها، ليعلم القارئ بأننا على إطلاع ومعرفة بهكذا أمر.

وبالختام نقول: السلام على نبي الله زكريا، والسلام على نبي الله يحي أو (يوحنا المعمدان)، والسلام على روح الله وكلمته عيسى بن

مريم، والسلام على الشهداء والقديسين، والأنبياء والمرسلين، وعلى ذرياتهم الطاهرة، لا سيما السبط الشهيد الحسين بن علي بن أبي طالب، والذي قطع رأسه الشريف وطيف به في البلاد حتى وصل إلى جوار مرقد رأس النبي يحيى أو (يوحنا) في المسجد الأموي في الشام.

**فالأطهار والأحرار تتلاقى سبلهم في الأرض، وتتجاور مكانتهم في السماء.**

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

صورة فنية ترمز إلى السيدة مريم عليها السلام واختها اليصابات وهي تهنئها بحملها بيحيى عليه السلام

صورة فنية ترمز إلى النبي زكريا عليه السلام وهو يتقبل التهاني بولادة يحيى عليه السلام

صورة فنية ترمز إلى النبي يحيى عليه السلام وهو في عمر الطفولة

صور فنية ترمز إلى السيد المسيح عليه السلام والنبي يحيى عليه السلام وهما في عمر الطفولة

صورة فنية ترمز إلى النبي يحيى عليه السلام وهو في مرحلة عمر أكبر

صورة فنية ترمز إلى النبي يحيى عليه السلام وهو في عمر البلوغ

صورة فنية ترمز إلى النبي يحيى عليه السلام
وهو في البرية ينادي لعبادة الله سبحانه

صورة فنية ترمز إلى تعميد السيد
المسيح عليه السلام من قبل النبي يحيى عليه السلام
في نهر الأردن

صورة فنية ترمز إلى الحشود التي كانت تجتمع حول النبي يحيى عليه السلام للإستماع إليه

صورة فنية ترمز إلى النبي يحيى عليه السلام وهو يخاطب هيرودوس بخصوص حرمة زواجه.

صورة فنية ترمز إلى الامبراطور هيرودوس وهو يقدم رأس النبي يحيى عليه السلام إلى ابنة زوجته

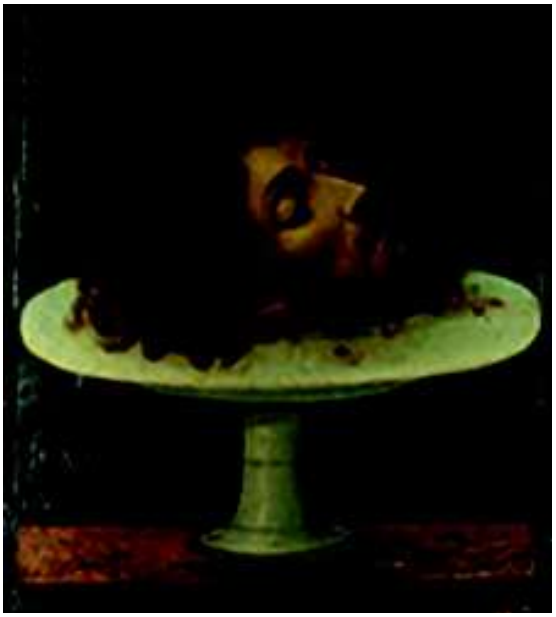

صورة فنية ترمز إلى رأس النبي يحيى عليه السلام وهو موضوع في صحن بعد قطعه

صورة مقام النبي يحيى عليه السلام في داخل المسجد الأموي في دمشق – سوريا

صورة أقرب لمقام النبي يحيى عليه السلام في المسجد الأموي في الشام

صورة قديمة للدكتور أحمد قيس مع عائلته أثناء زيارته لمقام رأس النبي يحيى عليه السلام في المسجد الأموي

وأيضاً صورة قديمة للدكتور أحمد قيس مع عائلته في صحن المسجد الأموي

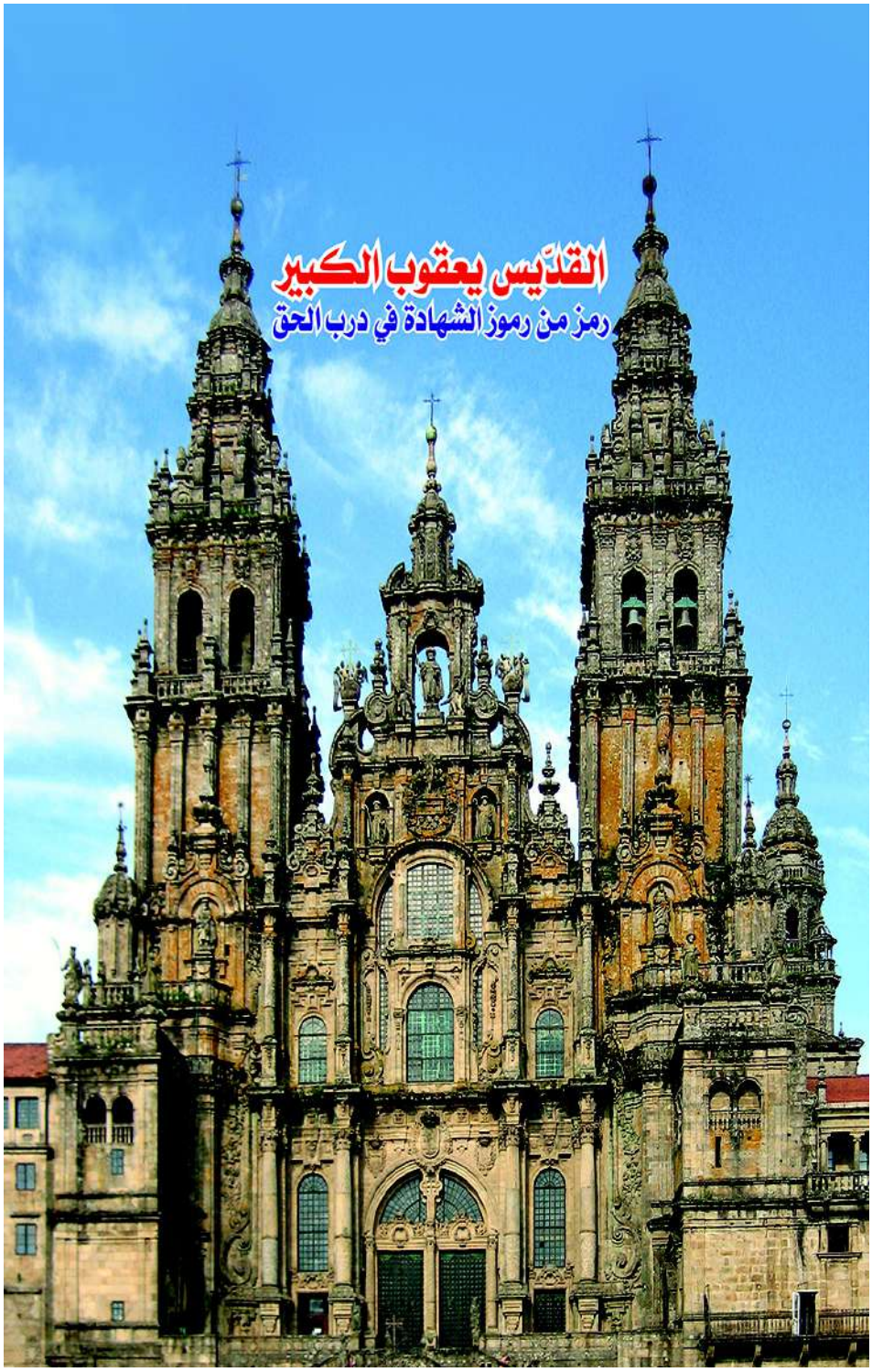
القدّيس يعقوب الكبير
رمز من رموز الشهادة في درب الحق

# القدّيس يعقوب الكبير

## رمز من رموز الشهادة في درب الحق

يقول تعالى في محكم كتابه: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [آل عمران: 52-53].

وقال الإمام علي عليه السلام: «**لا تكن عبد غيرك وقد ولدتك أمّك حراً**».

وورد عن السيد المسيح عليه السلام: «**من أكل من جنيّ فأسه نطق من رأسه**».

لطالما شكّلت الحرية الفكرية الإنسانية هاجساً لدى الطواغيت على امتداد الزمان، حيث أن هذه الحرية في الفكر والمعتقد وخاصة تلك المرتبطة بالسماء، كانت ولا تزال تؤرّق وتقلق الظالمين من الحكام والساسة، والذين يقوم أساس حكمهم على القمع والإستبداد ناهيك عن فرض وإملاء المفاهيم والأفكار في كافة شؤون الحياة الإنسانية.

والأخطر من هؤلاء الساسة والحكام أولئك الذين نصّبوا أنفسهم دعاة إلى الدين - أي دين - على امتداد مراحل تاريخ البشرية.

من هنا نفهم أن في بعثة روح الله وكلمته عيسى بن مريم عليه السلام، ما

هي إلّا انتفاضة أو ثورة على تلك المفاهيم الطاغية التي كانت سائدة في المجتمع الفلسطيني آنذاك. وما عبارة السيد المسيح عليه السلام في حق رجال الدين في بيت المقدس، إلّا تجسيداً لهذا المعنى وهذا المفهوم، حيث أنه عليه السلام عبّر عنهم بقوله أنهم لصوص الهيكل.

ومعنى كلمة لصوص الهيكل بحسب ما يمكن فهمه من الكلام المتقدم ذكره، أنهم سرقوا وسلبوا حرية الفكر والمعتقد من الناس ناهيك عن أموالهم وغير ذلك. لذلك تراهم جابهوه وتآمروا عليه لما يشكل من خطر على مصالحهم الدنيوية الرخيصة. فلمّا أحسّ عيسى عليه السلام منهم هذا التآمر والخطر دعا اتباعه المخلصين الذين آمنوا به وبدعوته إلى نصرة دين الله، فاستجابوا له ووقفوا معه والى جانبه، وتحملوا الأذى وصبروا على الجور والطغيان بحقهم وبحق كل من آمن من الناس مثلهم.

وبحسب ما جاء في التاريخ بالمعنى الأعم (الإنساني والديني) فقد كان عدد هؤلاء الأتباع او الحواريين اثنا عشر حوارياً، ومنهم يعقوب الملقب بالكبير.

**فمن هو يعقوب الكبير؟؟**

هو يعقوب ابن زبدي ويعرف (بالكبير) تمييزاً له عن رجل آخر يحمل نفس الإسم وهو يعقوب ابن حلفي ويعرف بيعقوب الصغير.

ويعقوب الكبير هذا هو شقيق يوحنا المعروف بيوحنا الحبيب، والذي تنسب اليه مجموعة كتابات مقدسة في التراث المسيحي، وهي:

الإنجيل الذي يحمل اسمه ويعرف بإنجيل يوحنا، ورؤيا يوحنا وفيها بعض الإشارات لبعض الأحداث الغيبية والمستقبلية، ومجموعة رسائل وعددها ثلاث. وكل هذه الكتابات الخاصة بيوحنا الحبيب تشكل جزءاً لا يتجزأ من الإنجيل المعتمد لدى المسيحيين والذي يعرف بالعهد الجديد، ومع إضافة النصوص المدونة عن النبي موسى عليه السلام والتي تنسب إليه وتعرف بالتوارة أو العهد القديم، تشكّل لاحقاً الكتاب المقدس بقسميه العهد القديم والعهد الجديد. وإذا شاء المولى عزّ وجلّ قد نتكلم عن يوحنا الحبيب هذا في مقالة منفردة.

وبالعودة إلى يعقوب الكبير موضوع هذا البحث، فإنه نشأ وترعرع في مدينة صيدا في لبنان حالياً، وكان أبوه زبدي يحترف مهنة الصيد البحري، وبحسب بعض الروايات فإنه كان في سعة من العيش نتيجة مهنة والده التي كانت تدّر عليه بالأموال. وهناك بعض الروايات والتي تقول بأن يعقوباً ويوحنا الحبيب كانا من أتباع يوحنا المعمدان أو النبي يحي بالمفهوم الإسلامي. بالإضافة إلى والدته والتي يقال عنها أيضاً أنها من أتباع النبي يحي عليه السلام وكانت تدعى (سالومة).

وعندما نهض السيد المسيح في دعوته وانتفاضته على الكهنة اللصوص، كان يعقوب في الخامسة والعشرين من عمره أو أقل من ذلك، فدعاه السيد المسيح عليه السلام للإلتحاق به هو وأخوه يوحنا فأجاباه والتحقا به ولم يفارقونه.

ويعقوب هذا كان من الذين حضروا المعجزة الأولى للسيد المسيح عليه السلام، في قرية قانا الجليل والتي هي حالياً تعرف بقرية قانا

في لبنان جبل عامل والتي حصلت فيها مجزرة العدو الصهيوني بحق النساء والأطفال عام 1996 م.

وقد تمييز يعقوب بالإضافة إلى أخيه يوحنا بالقوة النفسية والوعي بالإضافة إلى الحماس للدعوة إلى الإيمان بالله واتّباع السيد المسيح عليه السلام.

ونتيجة لهذه الصفات يقال بأن السيد المسيح أطلق عليهما إسم (بوانرجس) أي ابنيّ الرعد. وهناك أيضاً بعض الروايات الغير مؤكدة والتي تتحدث عن وجود علاقة قرابة بين سالومة والدة يعقوب ويوحنا، وبين مريم بنت عمران العذراء سلام الله عليها.

وينقل لنا التاريخ بأن يعقوب لم يتزوج مطلقاً، وليس له ذرية تأسياً بالنبي يحيى والسيد المسيح عليهما السلام، ولإنشغاله بالدعوة والتبشير إلى الله من خلال الإيمان بدعوة السيد المسيح عليه السلام.

**إستشهاده:**

بعد ارتقاء وارتفاع السيد المسيح عليه السلام إلى السماء، وذلك بعد تآمر الكهنة عليه وعلى أتباعه، استمر هؤلاء الكهنة اللصوص بالضغط على الحاكم الروماني من أجل القضاء على أتباع السيد المسيح عليه السلام، وفي محاولة منهم لطمس معالم هذا الفكر الديني الجديد الذي يتعارض مع مصالحهم وأهوائهم.

وبما أن أورشليم وبيت المقدس كانت تشكل حاجة استراتيجية للأمبراطورية الرومانية في ذلك الوقت، ولأن هؤلاء الكهنة أستطاعوا

بخبثهم تقليب الأمور وزعزعة الإستقرار في تلك المناطق، استجاب الرومان لمطالبهم.

ففي العام 44 أو 45 للميلاد، وفي زمن حكم الملك هيرودس أكربا حفيد الإمبراطور هيرودس الكبير، أمر هذا الملك نتيجة إلحاح وضغط الكهنة بقطع رأس يعقوب بعدما تمّ إلقاء القبض عليه وهو يبشّر بالمسيحية.

وبالفعل تم تنفيذ الحكم عليه، وقطعت رأسه بالإضافة إلى رأس الجندي الذي كان يقوده إلى الإعدام، لأنه تأثر به وبأخلاقه وبدعوته وآمن معه. وهكذا قضى يعقوب الكبير شهيداً في درب الحق والإيمان بالله سبحانه عن عمر قارب الخمسين عاماً قضاها في الله ولله تبارك وتعالى. لذلك فهو يعتبر أول شهيد من حواريّ السيد المسيح عليه السلام.

**أين دفن يعقوب الكبير؟**

هنالك ثلاث روايات حول مكان دفن يعقوب وهي:

**الأولى**: تتحدث عن عدم خروجه من فلسطين وبالتالي بعد إعدامه واستشهاده دفن في فلسطين، وهذا الرأي ذكره الأب مكاريوس أحد كبار مؤرخي المسيحية.

**الثانية**: تتحدث عن نقل جثمانه بعد استشهاده بمدة طويلة من فلسطين إلى فرنسا أيام حكم الملوك المسيحيين في أوروبا، وأن رفاته ما تزال محفوظة وموجودة في كنيسة القدّيس ساتورنين في منطقة تولوز في فرنسا.

**والثالثة**: تتحدث عن قيام يعقوب بالتبشير والدعوة في شبه الجزيرة الإيبرية وهي التي تشمل كل من البرتغال واسبانيا حالياً، وبعد استشهاده في فلسطين تم نقل جثمانه إلى تلك البلاد وتحديداً إلى بلدة تدعى كومبوستيلا في اسبانيا حيث توجد الآن كاتدرائية وكنيسة سانتياغو دي كومبوستيلا.

## لمحة موجزة عن هذه الكنيسة في اسبانيا

تقع هذه الكنيسة في منطقة سانتياغو دي كومبوستيلا بمنطقة جليقية الإسبانية. وتستمد هذه الكاتدرائية والكنيسة مكانتها في العالم الكاثوليكي من أنها مقر دفن مفترض لرفات القديس يعقوب الكبير ابن زبدي، أحد حواريّ السيد المسيح عليه السلام. وهذا الأمر جعلها منذ مطلع العصور الوسطى مقصداً للحجاج المسيحيين الكاثوليك. وقد أدرجت هذه الكنيسة على قائمة التراث العالمي سنة 1985 م، كما أنها أدرجت عام 2007 م ضمن قائمة كنوز اسبانيا الإثني عشر، وذلك من خلال استفتاء عام حصل حول هذا الأمر.

أما عن السبب وراء تشييد هذه الكاتدرائية والكنيسة، فتقول الروايات: أنه وبعد نقل جثمان يعقوب إلى اسبانيا ودفنه في قبر خصص له، هُجر هذا القبر وطُمست معالمه وذلك في القرن الثالث الميلادي على إثر اضطهاد الرومان لمسيحيي إسبانيا. ولم يكشف عنه ثانية إلا بواسطة الناسك بلايو عام 814 م، بعد أن زعم أنه رأى أضواء غريبة في السماء أثناء الليل دلته على مكان القبر، وقد اعتبر الأسقف

ثيودومير تلك المسألة من قبيل المعجزات، فأبلغ الملك ألفونسو الثاني الذي أمر بدوره ببناء كنيسة صغيرة على موقع القبر.

ويقول الرواة بأن الملك ألفونسو كان من أوائل الحجاج إلى ذلك المزار والقبر. وفي سنة 829 م تم توسعة الكنيسة، وفي العام 899 م أمر ملك منطقة ليون ألفونسو الثالث بتشييد كنيسة ضخمة في ذاك المكان، وهذا ما دفع الحجاج المسيحيين إلى هذه المدينة وحولتها إلى مقصد مهم للحج الكاثوليكي.

ولم يتم الإنتهاء من بنائها على شكلها الحالي إلّا في عام 1122م/ 1128 وبحضور الملك ألفونسو التاسع ملك ليون.

ثم رفع البابا أوربان الثاني (وهو كان أول من طالب بتشكيل الجيوش الصليبية لتحرير بيت المقدس من المسلمين) هذه الكاتدرائية والكنيسة إلى درجة أسقفية كبرى، وخضعت هذه الكنيسة إلى العديد من عمليات التوسعة والإضافة على مر الأيام وحتى يومنا هذا، حيث ما تزال أعمال الصيانة والترميم تشملها.

وما تزال هذه الكنيسة وما ترمز إليه مقصداً يحج إليه الآلاف من الأشخاص سنوياً للتزود بتلك القيمة الروحية والثقافية والتي جسدها القديس يعقوب الكبير.

وبالختام، نستشهد بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: 140].

**ونعلق بالقول**: ما أشبه حال القديس يعقوب الكبير بحال الصحابي الجليل حجر بن عدي الكندي رضوان الله عليه، حيث أسلم حجر في مقتبل شبابه على يدي رسول الله ﷺ، واستشهد في العام 51 للهجرة عن عمر تجاوز الخمسين.

وقد تميّز حجر بالشجاعة والعلم والتقوى والإقدام، حيث خالف أوامر الخليفة، وشارك في دفن أبي ذر الغفاري رضوان الله عليه، وذلك في منفاه في منطقة الربذة. وكان حجر رضي الله عنه من أصحاب الإمام علي عليه السلام الذين رفضوا البيعة لمعاوية بن أبي سفيان، فأمر معاوية بقطع رأسه ورؤوس أولاده الثلاثة. ولم يهن، ولم يضعف، ولم يتراجع (حجر الخير) - وهو لقبه - عن بيعته للإمام علي عليه السلام، وقدّم أولاده قبله وأسلمهم للسيف، وعندما سئل عن سبب ذلك، قال: خشيت أن يروا الدم فيتراجعوا عن إمامهم علي عليه السلام، وهكذا قضى رضوان الله عليه شهيداً مظلوماً هو وأبناؤه، مقطعي الرؤوس، لا لذنب ارتكبه سوى حرية قناعته، وفكره، واعتقاده.

ولم يسلم قبره الشريف في منطقة عدرا من بلاد الشام في وقتنا هذا، من عمليات التدنيس والتفجير، على أيدي شرذمة مارقة من الإرهابيين الذين يدّعون انتسابهم زوراً وبهتاناً إلى الإسلام، والإسلام منهم براء. ولم يكتفوا بذلك، بل عمدوا إلى رفاته الطاهرة ونبشوها وأهانوها، وضيعوا معالمها بحيث لم يعد بالإمكان معرفة وجودها أو ما آلت إليه.

فما أشبه الأمس بالأمس القريب أو اليوم، ويبقى الوعد الإلهي هو

الأمل والمرتجى حيث قال تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: 227].

فالسلام على القديس الشهيد يعقوب الكبير، والسلام على الصحابي الجليل الشهيد حجر بن عدي (حجر الخير)، والسلام على عباد الله الطيبين والصادقين ورحمة الله وبركاته.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

رسمة فنية قديمة للقديس يعقوب الكبير

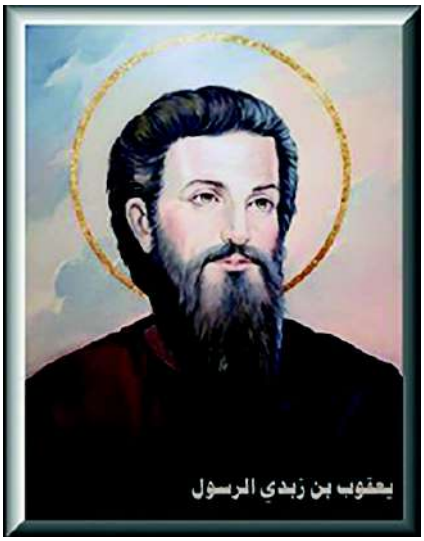


وأيضاً رسمة فنية قديمة للقديس يعقوب

رسمة فنية قديمة تصور
كيفية إعدام القديس يعقوب الكبير

صورة بانورامية حديثة لكتدرائية ساتورنين في جزيرة تولوز
في فرنسا حيث يعتقد وجود رفات القديس يعقوب الكبير

وأيضاً صورة بانورامية للكنيسة في فرنسا

صور لكنيسة وكتدرائية دي كومبوستيلا في اسبانيا

صورة أقرب لواجهة الكتدرائية
والكنيسة في اسبانيا

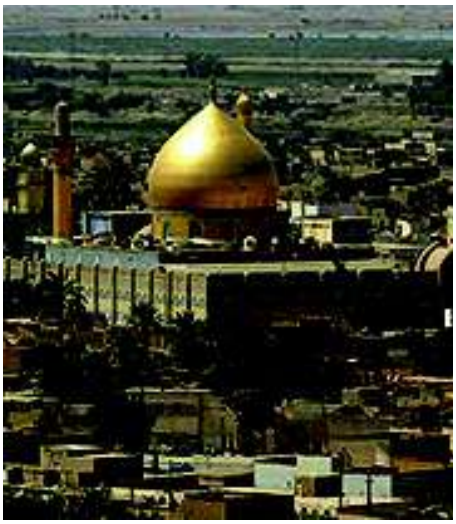

صورة عامة لمقام وضريح
حجر بن عدي قبل تخريبه

صورة لضريح الصحابي حجر بن عدي
الكندي من الداخل قبل تخريبه

صورة مؤسفة ومؤلمة تظهر عملية التخريب والتدنيس التي طالت
مقام وضريح حجر بن عدي (رضوان الله عليه) من الداخل ومن الخارج

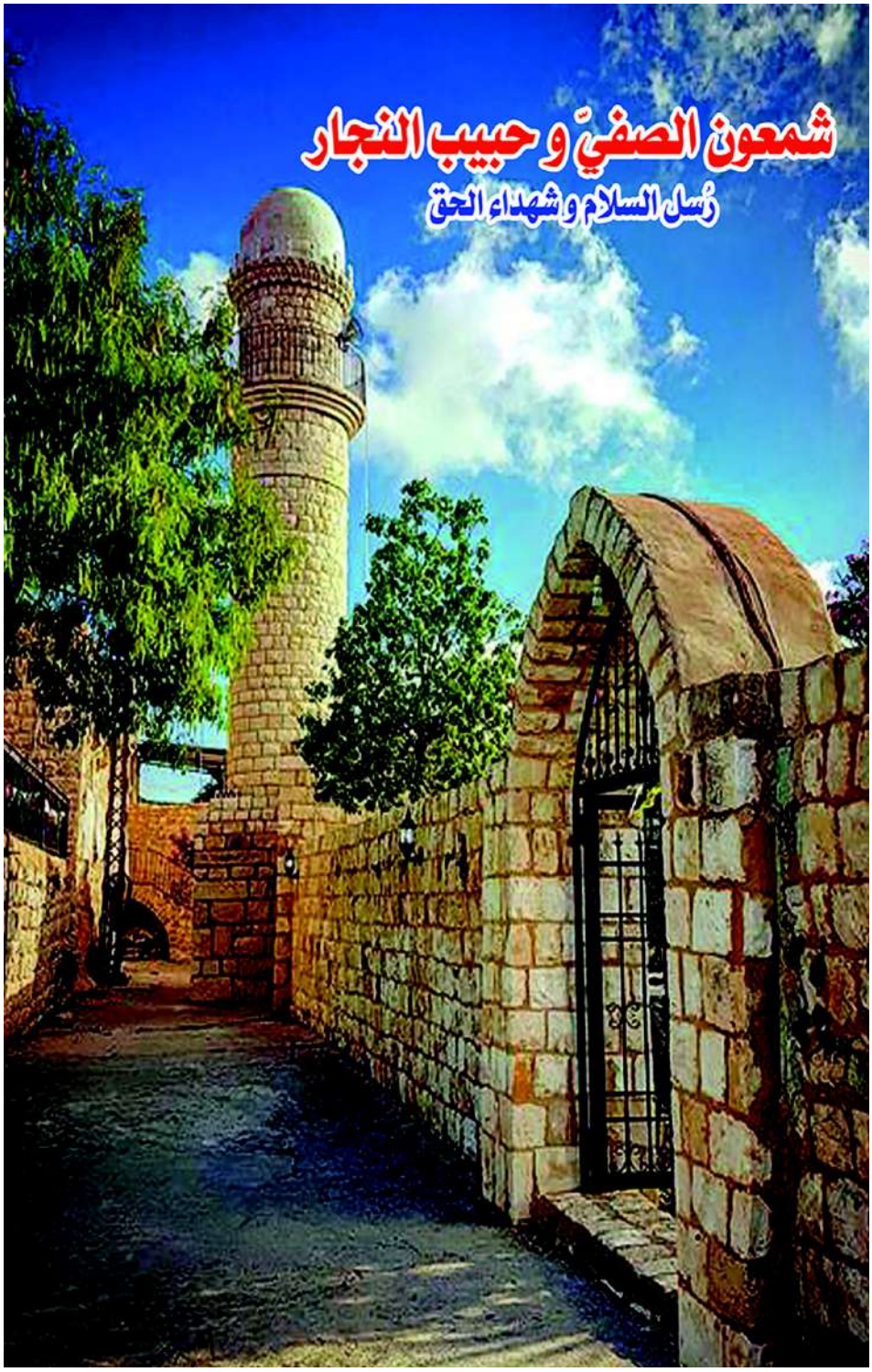
شمعون الصفيّ و حبيب النجار
رُسل السلام و شهداء الحق

# شمعون الصفيّ وحبيب النجار

## رُسل السلام وشهداء الحق

خلّد الله سبحانه وتعالى أسماء رسل السيد المسيح عليه السلام، بالإضافة إلى الرجل الذي ناصرهم، وذلك من خلال تشريف ذكرهم في محكم كتابه في سورة (يس)، حيث يقول تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يس: 13-14] إلى أن يقول تعالى في نفس السورة الآية 20: ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [يس: 20].

يخبرنا المولى عز وجل في سورة (يس) عن الأحداث التي جرت مع رسل السيد المسيح عليه السلام، الذين أرسلهم إلى قرية من القرى، للدعوة إلى الله والتبشير بالسيد المسيح والإنجيل.

لذلك وجب معرفة هذه القرية وأحوالها، وما جرى مع الرسل فيها، ودور هذا الرجل المؤمن في مساندتهم ومؤازرتهم وما حصل معه.

والقرية بحسب الروايات التاريخية هي أنطاكية من أرض الروم وكان أصحابها من عبدة الأوثان. ومدينة أنطاكية كبيرة، عاصمة دولة السلوقيين اليونانيين في بلاد الشام، وقد بُنيت هذه القرية ثلاثمائة قبل

الميلاد، ونسبت إلى آنتيوخوس من خلفاء إسكندر، وقيل: نسبت القرية إلى أهل أنطبيس وهو اسم الذي بناها ثم غُيِّر لما عُرِّب، وكان بها فرعون يقال له: أنطيخس بن أنطيخس، يعبد الأصنام. وقيل: يقال له: إبطيحس بن إبطيحس. و(أنطاكية): واحدة من أقدم مدن الشام التي بنيت - على قول البعض- بحدود ثلاثمائة سنة قبل الميلاد. وكانت تُعد من أكبر ثلاث مدن رومية في ذلك الزمان من حيث الثروة والعلم والتجارة.

تبعد (أنطاكية) مائة كيلو متر عن مدينة حلب، وستين كيلومتراً عن الإسكندرية. وفتحت من قبل (أبي عبيدة الجراح) في زمن الخليفة الثاني وقبل أهلها دفع الجزية والبقاء على ديانتهم.

و(أنطاكية) هذه، تعتبر بالنسبة إلى النصارى كالمدينة المنورة للمسلمين، أي المدينة الثانية في الأهمية بعد بيت المقدّس التي ابتدأ المسيح عليه السلام منها دعوته، ثم هاجر بعض من آمن بالمسيح عليه السلام - بولس وبرنابا - إلى أنطاكية ودعوا الناس هناك إلى المسيحية، وبذلك انتشرت المسيحية هناك.

وقد تمّ ذكر أحوال هذه القرية والمرسلين إليها في أغلب المصادر الإسلامية، فما هي قصة المرسلين؟

**قصة المرسلين**: عن أبي جعفر عليه السلام قال: بعث الله رجلين إلى أهل مدينة أنطاكية فجاءهم بما لا يعرفون فغلظوا عليهما فأخذوهما وحبسوهما في بيت الأصنام، فبعث الله الثالث فدخل المدينة فقال: أرشدوني إلى باب الملك، فلما وقف على باب الملك قال: أنا رجل

كنت أتعبد في فلاة من الأرض وقد أحببتُ أن أعبد إله الملك، فأبلغوا كلامه الملك، فقال أدخلوه إلى بيت الآلهة، فأدخلوه، فمكث سنة مع صاحبيه، فقال: (بهذا ينقل قوم من دين إلى دين بالحذق أفلا رفقتما).

ثم قال لهما: لا تقران بمعرفتي، ثم أدخل على الملك، فقال له الملك: بلغني أنك كنت تعبد إلهي فلم أزل وأنت أخي، فاسألني حاجتك. قال: مالي حاجة أيها الملك ولكني رأيتُ رجلين في بيت الآلهة فما بالهما؟ قال الملك: هذان رجلان أتياني ببطلان ديني ويدعواني إلى إله سماوي.

فقال: أيها الملك، فمناظرة جميلة، فإن يكن الحق لهما اتبعناهما، وإن يكن الحق لنا دخلا معنا في ديننا، فكان لهما ما لنا وما عليهما ما علينا، فبعث الملك إليهما، فلما دخلا إليه قال لهما صاحبهما: ما الذي جئتما فيه؟ قالا: جئنا ندعو إلى عبادة الله الذي خلق السماوات والأرض ويخلق في الأرحام ما يشاء ويصور كيف يشاء، وأنبت الأشجار والأثمار، وأنزل القطر من السماء. فقال لهما: إلهكما هذا الذي تدعوان إليه وإلى عبادته، إن جئنا بأعمى يقدر أن يرده صحيحاً؟ قالا: إن سألناه أن يفعل فعل إن شاء الله، قال: أيها الملك عليّ بأعمى لم يبصر قط، فأتي به، فقال لهما: ادعوا إلهكما أن يرد بصر هذا، فقاما وصلّيا ركعتين، فإذا عيناه مفتوحتان، وهو ينظر إلى السماء. فقال: أيها الملك، عليّ بأعمى آخر، فأتي به، فسجد سجدة ثم رفع رأسه، فإذا بالأعمى الآخر بصير، فقال: أيها الملك، حجّة بحجّة، عليّ بمقعد فأتي به، فقال لهما: مثل ذلك، فصليّا ودعوا الله،

فإذا المقعد قد أطلقت رجلاه وقام يمشي. فقال: أيها الملك، عليّ بمقعد آخر، فأتي به، فصنع به كما صنع أول مرة، فانطلق المقعد، فقال: أيها الملك، قد أوتينا بحجتين وأتينا بمثله، ولكن بقي شيء واحد، فإن هما فعلاه دخلت معهما في دينهما ثم قال: أيها الملك، بلغني أنه كان للملك ابن واحد ومات، فإن أحياه إلههما دخلت معهما في دينهما.

فقال له الملك: وأنا أيضاً معك. ثم قال لهما: قد بقيت هذه الخصلة الواحدة قد مات ابن الملك فادعوا إلهكما فيحييه، قال: فخرا إلى الأرض ساجدين لله وأطالا السجود، ثم رفعا رأسيهما وقالا للملك: ابعث إلى قبر ابنك تجده قد قام من قبره إن شاء الله، فخرج الناس ينظرون فوجدوه قد خرج من قبره ينفض رأسه من التراب، فأتي به الملك فعرف أنه ابنه، فقال له: ما حالك يا بني؟ قال: كنت ميتاً فرأيت رجلين من بين يدي ربي الساعة ساجدين يسألانه أن يحييني فأحياني، قال: تعرفهما إذا رأيتهما؟ قال: نعم فأخرج الناس جملة إلى الصحراء، فكان يمر عليه رجل رجل، فيقول له أبوه: انظر، فيقول: لا لا، ثم مروا عليه بأحدهما بعد جمع كثير، فقال: هذا أحدهما، وأشار بيده إليه، ثم مرّوا أيضاً بقوم كثيرين حتى رأى صاحبه الآخر فقال: وهذا الآخر، فقال النبي صاحب الرجلين: أما أنا فقد آمنت بإلهكما وعلمت أن ما جئتما به الحق. فقال الملك: وأنا أيضاً آمنت بإلهكما ذلك، وآمن أهل مملكته كلهم. وهذا ما قاله علي بن ابراهيم القمّي في تفسيره.

أما العلامة الطباطبائي في بحثه الروائي، قال: في المجمع قالوا: بعث عيسى رسولين من الحواريين إلى مدينة أنطاكية، فلما قربا من المدينة رأيا شيخاً يرعى غنيمات له وهو حبيب صاحب يس، فسلما عليه فقال الشيخ لهما: من أنتما؟ قالا: رسولا عيسى ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن فقال: أمعكما آية؟ قالا نحن نشفي المريض ونبرىء الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى، فقال الشيخ: إن لي إبناً مريضاً صاحب فراش منذ سنين قالا: فانطلق بنا إلى منزلك نتطلع حاله فذهب بهما فمسحا ابنه فقام في الوقت بإذن الله تعالى صحيحاً - ففشى الخبر في المدينة وشفى الله على أيديهما كثيراً من المرضى. وكان لهم ملك يعبد الأصنام فأنتهى الخبر إليه فدعاهما فقال لهما: من أنتما؟ قالا: رسولا عيسى جئنا ندعوك من عبادة مالا يسمع ولا يبصر إلى عبادة من يسمع ويبصر. قال الملك: ولنا إله سوى آلهتنا؟ قالا: نعم من أوجدك وآلهتك. قال: قوما حتى أنظر في أمركما فأخذهما الناس في السوق وضربوهما.

قال وهب بن منبه: بعث عيسى هذين الرسولين إلى أنطاكية فأتياها ولم يصلا إلى ملكها وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبّرا وذكرا الله فغضب الملك وأمر بحبسهما وجلد كل واحد منهما مائة جلدة.

فلما كذب الرسولان وضربا، بعث عيسى شمعون الصفا رأس الحواريين على أمرهما لينصرهما، فدخل شمعون البلد متنكراً فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره إلى الملك فدعاه

ورضي عشرته وأنس به وأكرمه. ثم قال له ذات يوم: أيها الملك بلغني أنك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك إلى غير دينك فهل سمعت قولهما؟ قال الملك: حال الغضب بيني وبين ذلك. قال: فإن رأى الملك دعاهما حتى نتطلع ما عندهما. فدعاهما الملك فقال لهما شمعون: من أرسلكما إلى ههنا؟ قالا: الله الذي خلق كل شيء لا شريك له. قال: وما آتاكما؟ قالا: ما تتمناه، فأمر الملك حتى جاءوا بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان الله حتى انشق موضع البصر فأخذا بندقتين من الطين فوضعا في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك ثم قال شمعون للملك: أرأيت لو سألت إلهك حتى يصنع صنيعاً مثل هذا؟ فيكون لك ولإلهك شرفاً. فقال الملك: ليس لي عنك سر إن إلهنا الذي نعبده لا يضر ولا ينفع. ثم قال الملك للرسولين: إن قدر إلهكما على إحياء ميت آمنا به وبكما. قالا: إلهنا قادر على كل شيء، فقال الملك: إن ههنا ميتاً مات منذ أيام لم ندفنه حتى يرجع أبوه وكان غائباً فجاءوا بالميت وقد تغير وأروح فجعلا يدعوان ربهما علانية وجعل شمعون يدعو ربه سراً فقام الميت وقال لهم: إني قد متّ منذ سبعة أيام وأدخلت في سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا بالله، فتعجب الملك، فلما علم شمعون أن قوله أثر في الملك دعاه إلى الله فآمن وآمن من أهل مملكته قوم وكفر آخرون.

**قال**: وقد روى مثل ذلك العياشي بإسناده عن الثمالي وغيره عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام إلا أن في بعض الروايات: بعث الله

الرسولين إلى أهل أنطاكية ثم بعث الثالث، وفي بعضها أن عيسى أوحى الله إليه أن يبعثهما ثم بعث وصيه شمعون ليخلصهما، وأن الميت الذي أحياه الله بدعائهما كان ابن الملك وأنه قد خرج من قبره ينفض التراب عن رأسه فقال له: يا بني ما حالك؟ قال: كنت ميتاً فرأيت رجلين ساجدين يسألان الله تعالى أن يحييني. قال: يا بني فتعرفهما إذا رأيتهما؟ قال: نعم فأخرج الناس إلى الصحراء فكان يمر عليه رجل بعد رجل فمر أحدهما بعد جمع كثير فقال: هذا أحدهما. ثم مر الآخر فعرفهما وأشار بيده إليهما فآمن الملك وأهل مملكته.

وقال ابن إسحق: بل كفر الملك، وأجمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيباً وهو على باب المدينة الأقصى فجاء يسعى إليهم يذكرهم ويدعوهم إلى طاعة الرسل. وهو الرجل الذي ذكره المولى بقوله: (وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يقوم اتبعوا المرسلين * اتّبعوا من لا يسئلكم أجراً وهم مهتدون).

مع أن الله لم يشر سبحانه إلى اسم هذا الرجل، ومع ذلك قال المفسرون اسمه: حبيب النجار، وأيّاً كان اسمه ونسبه فهو من الصالحين بشهادة القرآن حيث أخبر عنه أنه أسرع إلى قومه الكافرين و(قال) ناصحاً ومحذراً: **(يا قوم اتبعوا المرسلين * اتبعو من لا يسئلكم أجراً وهم مهتدون)**. إن هؤلاء الرسل من الأطايب الأخيار والهداة الأبرار، استجيبوا لهم ترشدوا وتأمنوا من عذاب النار وغضب الجبار. وقد آمن بالرسل عند ورودهم القرية، وكان منزله عند أقصى باب من أبواب المدينة، فلما بلغه أن قومه قد كذبوا الرسل وهموا

بقتلهم جاء يعدو ويشتد (**قال يقوم اتبعوا المرسلين**) الذين أرسلهم الله إليكم، وأقروا برسالتهم، وقالوا: ولربما علم هو بنبوتهم لأنهم لما دعوه قال أتأخذون على ذلك أجراً؟ قالوا: لا.

والأصح أنه كان مؤمناً قبل وصول الرسل إليه، بدليل ما ذكره معظم المفسرين ورواة الأحاديث عن رسول الله ﷺ كما ذكر ذلك ونقله الطباطبائي في تفسيره: «في الدر المنثور أخرج أبو داود وأبو نعيم وابن عساكر والديلمي عن أبي ليلى قال: قال رسول الله ﷺ: الصديقين ثلاثة: حبيب النجار مؤمن آل ياسين الذي قال: يا قوم اتبعوا المرسلين، وحزقيل مؤمن آل فرعون الذي قال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله، وعلي بن أبي طالب وهو أفضلهم.

أقول: ورواه أيضاً عن البخاري في تاريخه عن ابن عباس عنه ﷺ ولفظه: الصدّيقون ثلاثة: حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار صاحب آل ياسين وعلي بن أبي طالب.

وفي المجمع عن تفسير الثعلبي بالإسناد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن النبي ﷺ قال: سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين علي بن أبي طالب وصاحب يس ومؤمن آل فرعون فهم الصدّيقون وعلي أفضلهم.

أقول: وروى هذا المعنى في الدر المنثور عن الطبراني وابن مردويه وضعفه عن ابن عباس عنه عليه السلام ولفظه: السبق ثلاثة فالسابق إلى موسى يوشع بن نون والسابق إلى عيسى صاحب يس والسابق إلى محمد ﷺ علي بن أبي طالب».

وقد كان حبيب النجار يعبد الله جل وعلا وحده لأنه تعالى وحده يليق للعبادة فلا يعبده طمعاً في جنته، ولا خوفاً من ناره ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: 110]. وقد قال مولى الموحّدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه أفضل صلوات الله: (إلهي! ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنتك، بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك). هذا هو حبيب النجار أحد الصدّيقين الثلاثة والإمام عليّ عليه السلام أفضلهم يدعو قومه إلى التوحيد والعبادة لله تعالى وحده، والى اتباع المرسلين الذين لا يسألون أجراً في رسالتهم، فأي دعوة أولى من هذه الدعوة بالقبول لها والإحتفاء بأهلها؟ إنها دعوة من أهل الهدى، الذين لا يسألون أجراً على هذا الهدى الذي يقدمونه ويدعون الناس إليه، فلم التمنّع والإعراض عن خير يبذل بلا ثمن؟ ذلك لا يكون إلا عن جهل وغفلة وسفه معاً.

**(إني ءامنت بربكم فاسمعون)** وهكذا يقولها حبيب النجار صريحة مدوّية في وجه القوم، إنها هي كلمة النجاة، وحسبه أن يمسك بها، وليكن ما يكون.. ! وألا فليسمعوها عالية مدوّية متحدّية، إنها كلمة الحق التي يجب أن ترفع فوق كل كلمة، وتعلو على كل نداء.

فلما أعلن حبيب النجار إيمانه بالله جل وعلا وعبادته لله وحده ودعا قومه إلى التوحيد والإخلاص، ونهاهم عن الشرك والطغيان، وثبوا عليه وثبة رجل واحد فقتلوه واستضعفوه لضعفه وسقمه، ولم يدفع عنه أحد. قيل: ألقوه بعد قتله في بئر وهي الرّس وهم أصحاب الرّس الذين ورد ذكرهم أيضاً في سورة (الفرقان/ 38) وسورة (ق الآية12).

وما يزال مقام ومشهد حبيب النجار قائماً ليومنا هذا، وذلك في المسجد الذي يحمل اسمه (مسجد مقام حبيب النجار) في مدينة انطاكيا في تركيا. حيث يزوره المسلمون من كافة أنحاء العالم. وللأسف لا يزوره المسيحيون مع أنه أستشهد دفاعاً عن رسل السيد المسيح عليه السلام !!

أما عن أسماء الرسل الثلاثة الذين أرسلهم السيد المسيح عليه السلام، فهم كما ذكره ونقله الطبرسي في (مجمع البيان):

(قال شعبة: كان اسم الرسولين: شمعون ويوحنا، واسم الثالث: بولس. وقال ابن عباس وكعب: صادق وصدوق، والثالث سلوم. وقيل: إنهم رسل عيسى وهم الحواريون، عن وهب وكعب قالا: وإنما أضافهم تعالى إلى نفسه لأن عيسى عليه السلام أرسلهم بأمره: **(فقالوا إنّا إليكم مرسلون)** أي: قالوا لهم يا أهل القرية إن الله أرسلنا إليكم فقال اهل القرية فلا تصلحون للرسالة كما لا نصلح نحن لها، فأنتم تكذبون في ما تزعمون، اعتقدوا أن من كان مثلهم في البشرية لا يصلح أن يكون رسولاً، وذهب عليهم ان الله عزّ اسمه يختار من يشاء لرسالته، وأنه علم من حال هؤلاء صلاحهم للرسالة وتحمّل أعبائها **(وقالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون)**.

وقيل: اثنين هما: توماس وبطرس. وقيل: هما سمعان ويحيى.

وقيل: الثالث: هو بطرس، إسمه بالرومية، واسمه بالعربية سمعان وبالسريانية شمعون، وهو شمعون الصفاء، وقد وردت في المقام روايات وكلمات مختلفة.

وقال ابن كثير: إن هؤلاء الثلاثة كانوا رسلاً من عند المسيح عليه السلام

كما نص عليه قتادة وغيره، والظاهر أنهم رسل من عند المسيح لقوله: (**أرسلنا**). فأهل هذه القرية ذكر الله أنهم كذبوا الرسل، وأنه أهلكهم بصيحة واحدة وأخمدتهم. فالمفسر أحسن حاله أن يمشي مع التنزيل إجمالاً في ما أجمله، وتفصيلاً في ما فصله، ولا يأخذ من إيضاح مبهماته إلا بما قام عليه قاطع، أو كان لا ينبذه العلم الصحيح».

إلا أن الملفت في الأمر بين المفسرين أو المؤرخين هو عدم قطعهم بصحة أسماء هؤلاء الرسل ما عدا سمعان أو شمعون. والذي إليه ينسب المسجد والمقام في قرية شمع من جبل عامل في لبنان.

**فما هي صحة هذه النسبة إليه؟؟**

أوردت جمعية (قبس لحفظ الآثارالدينية في لبنان) في مقالة خاصة عن النبي شمعون الصفا، نبذة خاصة عنه وعن أحواله ووفاته، ومكان دفنه، فقالت: (هو شمعون الصفا، ولد عام 10 قبل الميلاد، واستشهد عام 67 بعد الميلاد عن عمر ناهز 77 عاماً. وهو شمعون بن حامون بن عامة الملقب ببطرس، وتعني الحجر الأملس الصلب.

ولد في منطقة جسكالا المعروفة اليوم ببلدة الجش شمال فلسطين 10 ق.م. كما ذكر إدوارد روبنسون ذلك بنقله عن القديس جيروم. وأمّه هي أخت النبي عمران عليه السلام والد السيدة مريم عليها السلام، وبهذا يكون إبن خال مريم وابن عمتها في آن معاً.

من أسمائه المعروف بها: بطرس، كيفا - شمعون الصفا.

وهو من تلاميذ السيد المسيح عليه السلام ووصيه. وهو جد الإمام

المهدي (عج) لأمه مليكة بنت يشوعا بنت قيصر ملك الروم. رافق السيد المسيح عليه السلام في حلّه وترحاله وزارمعه لبنان.

**وحول وفاته**، قالت الجمعية: يوجد رأيان حول وفاته ومكان دفنه:

**الأول**: أنه مات ودفن في روما (بازيليك مار بطرس حالياً) وهذا ما تتبناه الكنيسة الكاثوليكية.

**الثاني**: أنه قتل بين بني قومه في جبل الجليل وجواره ودفن في قرية شمع ومقامه معروف وهذا ما يقوله بعض المؤرخين المسلمين.

ويتألف مقام النبي شمعون من طبقتين: الطبقة السفلية لا يعرف متى بنيت، والطبقة العليا بنيت على مرحلتين: الأولى غير معلومة، والثانية في سنة 490 هجرية في زمن الدولة الفاطمية وهي من أهم آثار الشيعة في جبل عامل. . . . . ). وهذه المعلومات الواردة أصبحت متداولة بين الناس ولا يعارضها سوى أصحاب الرأي الأول من المسيحيين.

**ونعلّق بدورنا على أصحاب الرأي الثاني بالقول**: أن هنالك شبهة في اسم الرسول شمعون، وهذا الأمر يبدو نتيجة الخلط بين أسماء الحواريين، إذ يوجد اثنان منهم يعرفون بسمعان أو شمعون.

فأسماء تلامذة ورسل السيد المسيح عليه السلام، هم:

1 - اندراوس بن يونا (شقيق بطرس) وهو أول من دعاهم السيد المسيح عليه السلام.

2 - سمعان بن يونا (بطرس) والمعروف عند المسيحيين بالقديس (بطرس).

3 - يعقوب ابن زبدي (الملقب بالكبير) وهو أول من استشهد من الرسل عام 44م.

4 - يوحنا بن زبدي (الملقب بالحبيب) وإليه ينسب الإنجيل والرؤيا وأعمال الرسل.

5 - سمعان القانوي (الملقب بالغيور) وهو من قرية قانا الجليل

6 - متى العشّار (ولقبه العشّار لأنه كان يجمع الضرائب).

7 - توما ديد يموس (ومعنى توما التوأم) وإليه يعود ضرب المثال بالشك.

8 - يعقوب بن حلفي (الملقب بالصغير).

9 - يهوذا لبّاوس شقيق يعقوب الصغير ولقبه (تداوس).

10 - فيلبس من بيت صيدا.

11 - برتولماوس وهو صديق (فيلبس).

12 - يهوذا الإسخريوطي (الذي يقال بأنه وشى بالسيد المسيح عليه السلام).

ولقد وردت أسماء هؤلاء الرسل في انجيل (متى-10)، و(لوقا-6)، و(مرقس-3)، كما في أعمال الرسل (أعمال-1) وفي غيرها من التراث المسيحي.

وبناءً على ما تقدم، يتبين معنا أن الرسول رقم (2) والرسول (رقم5) يحملان اسم (سمعان)، وقد مرّ معنا أن اسم (سمعان هو اسم عربي وترجمته بالسريانية (شمعون).

وعليه، يكون الرسول (رقم 2) اسمه (شمعون) ولقبه (بطرس) وسيتضح معنا سبب اللقب في السياق. والأدلة التاريخية، والروايات المسيحية تؤكد استشهاد (بطرس) في روما أيام حكم الإمبراطور نيرون عام 67 م كما تؤكد على أنه صلب بحسب التقاليد الرومانية منكوساً، أي أن رأسه كان باتجاه الأرض، وبالتالي من المستبعد إعادة جثمانه ليدفن في جبل عامل (شمالي الجليل) في لبنان.

أما عن سبب تسميته ببطرس فهو نسبة إلى الصخرة الملساء، حيث يقول مؤرخو المسيحية أن السيد المسيح عليه السلام نعته بذلك حيث قال له: (**أنت الصخرة التي أبني عليها كنيستي**). ومن وقتها عرف ببطرس الرسول أي الصخرة.

وبناء على هذا القول، اعتمد المسيحيون هذا القول في بناء وتأسيس الكنيسة الأولى حيث دفن الرسول بطرس في روما.

أما عن الرسول سمعان (شمعون) الملقّب بالغيور، فإنه وبحسب القديس جيروم وآخرون من قرية قانا الجليل في كنعان، لذا لقّب بالقانوي لتمييزه عن سمعان (بطرس). وحتى الكنيسة الكاثوليكية أو مؤرخيها لا يعلمون مكان وفاته بالدقة، بل لديهم جملة من الآراء المختلفة عن هذا الموضوع. أما عن لقبه (الغيور)، فإن الإعتقاد السائد عند الكنيستين الشرقية والغربية، أنه كان من المتمسكين بشدة بدينه وبالطقوس الموسوية قبل ذلك. وبذلك يكون **غيوراً** على دينه **وصفياً** عند ربّه عزّ وجل.

**والذي نذهب إليه في هذا المجال، هو أن المقام الموجود في قرية**

**شمع في جنوب لبنان، يعود إلى (شمعون الغيور والصفي) لا إلى (شمعون بطرس) والله تعالى أعلم بحقيقة الأمور.**

ومهما كان الحال، فالسلام على عيسى روح الله، والسلام على رسله وحوارييه، لا سيّما (شمعون الصفي أو الصفاء) والسلام على مؤمن آل ياسين (حبيب النجار)، والسلام على المخلصين والأحرار في سبيل الله أينما كانوا، ذلك لأن عروشهم الحقيقية في قلوب المؤمنين، يحوطونهم بدفء حنانهم وحبّهم وعشقهم لما بذلوه في سبيل الله.

أليس الشاعر المحب يقول:

**لا تطلبوا قبر الحسين بشرق أرض أو غرب**

**ودعوا الجميع إليّ إن القبر موضعه بقلبي**

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

صورة اثرية لانطاكيا القديمة

صورة اثرية للقرية (انطاكيا)

صورة لمسجد حبيب النجار عليه السلام
في انطاكيا تركيا

صورة لمقام حبيب النجار عليه السلام
داخل المسجد في تركيا

صورة لبازليك بطرس في روما من الخارج

صورة لبازليك بطرس من الداخل

صورة لمقام ومسجد شمعون الصفا (الغيور)
في قرية شمع جنوب لبنان

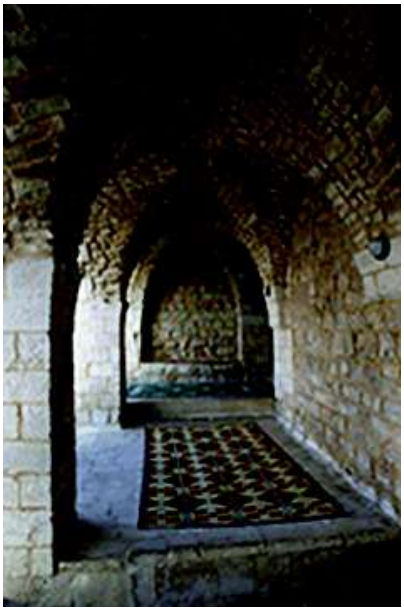

صورة مدخل المسجد والمقام لشمعون
الصفاء (الغيور) في لبنان

صورة لضريح ومقام شمعون الصفاء (الغيور)
داخل المسجد المنسوب إليه في جبل عامل في لبنان

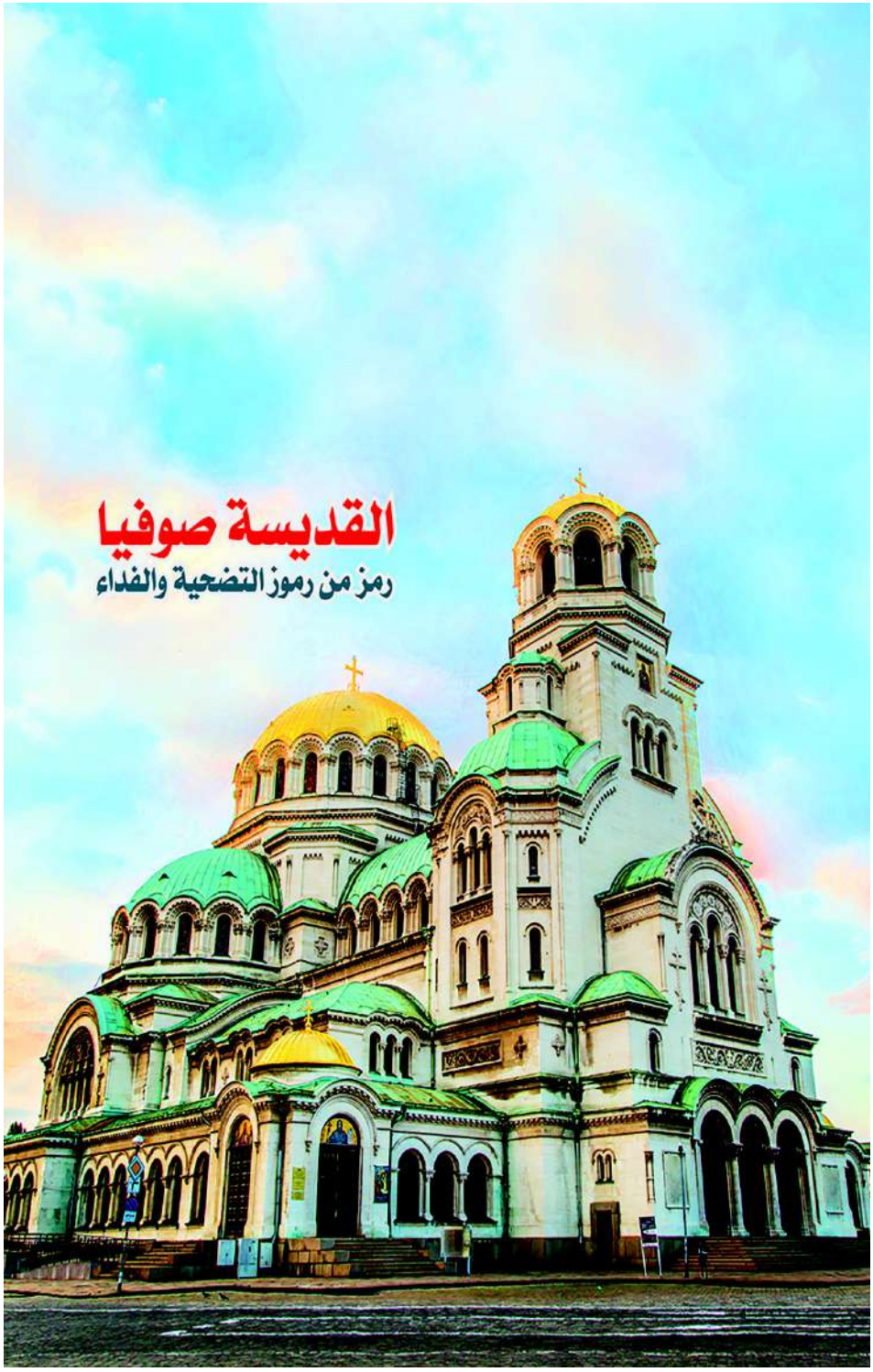
القديسة صوفيا
رمز من رموز التضحية والفداء

# القديسة صوفيا

## رمز من رموز التضحية والفداء

يقول تعالى في محكم كتابه العزيز المجيد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: 13].

والإمام علي عليه السلام باب مدينة العلم، والمتمثلة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: «**الإنسان أخو الإنسان أحبّ أم كره، إمّا نظير لك في الخلق وإمّا أخ لك في الدين**».

وبناءً على ما تقدم ذكره في الآية المباركة، أو الحديث الكريم، بالإضافة إلى العديد من الآيات أو الأحاديث الشريفة المشابهة لهذا المعنى أو المضمون، نستطيع القول وبكل إطمئنان وثقة: بوجوب إطلاع الناس على أفكار ومعتقدات بعضها بعضاً، حتى يتسنى لهم فهم بعضهم، والإستفادة من أفكارهم، أو حتى تجاربهم المشتركة، والتي تحاكي التجربة والمسيرة الإنسانية بشكل عام، وهو ما يعرف حالياً بحوار الحضارات. وهذا المعنى مطلوب من المسلم بشكل خاص لا سيّما في وقتنا وزماننا هذا. حيث أضحى الإسلام كدين وعقيدة مشوهاً بنظر الغالبية الكبرى من الناس، نتيجة تصرفات وهرطقات بعض المنتسبين زوراً وبهتاناً لهذا الدين الحنيف.

لدرجة أن التكفير أصبح العملة الأكثر رواجاً بين المسلمين أنفسهم، ناهيك عن غير المسلمين، وكأن المسلمين نسوا قول الله سبحانه وتعالى في معرض ذمّ وتقريع المفاهيم الدخيلة في الديانة اليهودية الموسوية، أو حتى المسيحية، كما في الذكر الحكيم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المائدة: 18].

فكما فعل هؤلاء البعض من اليهود أو النصارى بالأمس، يقوم به الكثيرون من المسلمين اليوم ! وهم يتلون الكتاب، ويقيمون الصلاة، ويؤدون باقي الشعائر الإسلامية بشكل أجوف، وبعيداً عن رحمة الله الواسعة التي تجلّت في القرآن الكريم، وأيضاً في بعثة النبي الكريم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه المنتجبين.

لذا أصبح لزاماً على كل داع إلى الله، وكل مثقّف، أن يعرّف جمهوره على تراث وفكر الآخر، ويعمل على محاولة إخراج البعض من شرنقاتهم الفكرية والطائفية والمذهبية، ويبث روح المعرفة، والعلم، والوعي، والإنفتاح، والرحمة في ما بين الناس جميعاً.

وفي هذا السياق، ومن هذا المعنى المتقدم ذكره، جاءت هذه المقالة، والتي تتحدث عن شخصية إيمانية متميزة في الفكر والتراث المسيحي، ألا وهي (**القديسة صوفيا**).

## فمن هي صوفيا؟

ولدت القديسة صوفيا في القرن الثاني الميلادي (ما بين 117 / 138م) من أبوين وثنيّين، ونشأت وترعرعت في مصر، في قرية كانت تعرف بإسم (البدرشين)، وفي المنطقة التي تعرف حالياً (بمحافظة المنوفية)، وهناك روايات أخرى حول نشأتها في مدينة انطاكية أو في روما، إلا أن الأقرب للصحة هو مصر، ذلك لأنها تلقّت تعاليمها وأفكارها المسيحية بشكل سرّي، من أحد الأساتذة المسيحيين والذي كان يعرف بإسم منوف العلا، وإلى اسم هذا الرجل تنسب محافظة المنوفية في مصر حالياً.

وكانت الديانة المسيحية في فترة ولادتها ونشأتها تعاني الإضطهاد والقمع الشديدين من قبل الأباطرة الرومان، والولاة والحكام في جميع أصقاع ومساحة الأمبراطورية الرومانية الوثنية، حيث كانت الوثنية وعبادة الأصنام هي الديانة الرسمية المعتمدة.

ولم تعرف المسيحية كديانة ودعوة سماوية أي نوع من الراحة أو السلام، إلا قبيل العام 325م، وبعد اعتناق الإمبراطور الروماني قسطنطين لهذا الدين، وذلك وبحسب بعض الروايات على يد والدته هيلينا أو هيلانة، والتي تعرف حالياً بالقديسة هيلينا لدورها الكبير في نشر المسيحية ورفع الظلامة عنها، ولدورها في بناء كنيسة المهد في أوروشليم في فلسطين، ولها أدوار كثيرة لا مجال لإستعراضها الآن.

وكانت المسيحية كديانة سماوية في فترة ولادة ونشأة صوفيا ما

تزال على فطرتها وسليقتها وتعاليمها الأولى، المتناقلة عن السيد المسيح عليه السلام، أو عن بعض حواريّيه، إذ لم تتبلور العقيدة المسيحية بشكل كامل إلّا في العام 325م، حيث تمّ أول مجمع ديني أو سينودوس في نيقية، ثم على اثره تمّ إعتماد الأفكار والمعتقدات المسيحية الحالية، وألغيت وقمعت كل المعتقدات والأفكار المسيحية الأخرى المخالفة لها، وخاصة تلك التي تتحدث عن الطبيعة الناسوتية للسيد المسيح عليه السلام.

وكانت مصر بشكل عام، والمناطق الصحراوية فيها بشكل خاص، تشكل الملاذ الآمن للمسيحيين الذين كانوا يفرّون من بطش السلطة الرومانية، لأن هذه المناطق تعتبر بعيدة نسبياً عن مراكز الحكام، والمدن الكبيرة الأساسية. واللطيف في الأمر، أن هذا أيضاً ما تكرر حصوله بعد عام 325 م، أي بعد مجمع نيقية، حيث لم توافق مجموعة من الرهبان والكهنة على حالة الكنيسة في روما وما كان يجري فيها آنذاك، فانتقلوا إلى الصحراء المصرية حيث استوطنوا الكهوف والمغارات وبنوا ما يعرف بالمحابس، للإبتعاد عن الدنيا وزخارفها، وعاشوا حالة الرهبنة والزهد، وهذه الحركة تعرف في التاريخ المسيحي بإسم (إنشقاق الأديرة)، وعلى إثرها تشكلت لاحقاً الكنيسة القبطية نسبة إلى الأقباط الذين كانوا يقطنون صعيد مصر، واعتنقوا الديانة المسيحية على أيدي هؤلاء الرهبان.

في هذا الجو من الإضطهاد والقمع للديانة المسيحية في القرن الثاني، وتحديداً في زمن حكم القيصر هادريان أو (أدريانوس)، تأثرت

صوفيا بأخلاق ومعاملة بعض جيرانها الذين كانوا يعتنقون المسيحية بشكل سري، فأخذت تتردد عليهم، وتتعلم منهم، وصولاً إلى تعرّفها إلى منوف العلا الذي أخذ بيدها وزرع في داخلها المفاهيم والمعتقدات المسيحية الأصيلة.

وهكذا تحولت صوفيا من الوثنية إلى المسيحية، بوعي، وعلم، وشجاعة وإقدام بشكل استثنائي، كما سيمر معنا في الحديث عن استشهادها.

وكان من نتيجة شجاعتها وإقدامها في نشر المسيحية، أن ذاع صيتها ووصل خبرها إلى القيصر هادريان، الذي أمر الوالي أو الحاكم في منطقتها بإحضارها والضغط عليها، وإغرائها بشتّى الوسائل، من أجل العودة إلى الوثنية، ورفض عقيدتها المسيحية الآخذة بالإنتشار سراً.

وبحسب الروايات فإنها كانت في هذه الفترة متزوجة من رجل مسيحي ولديها منه ثلاث بنات، والذي يؤكد أن زوجها مسيحي، هي تلك الأسماء التي أطلقتها على بناتها منه، وهنّ: (بيستس أي إيمان، وهلبيس أي رجاء، وأغابي أي محبة)، وهذه الأسماء تحاكي مضمون ومفهوم العقيدة المسيحية، وبالتالي قد لا تتمكن الزوجة من تسمية أولادها دون موافقة الزوج، وهذا ما يأخذنا إلى القول بأنه مسيحياً، إلا أن الأخبار عنه، أو عن أحواله شبه معدومة، وخاصة أنه لم يكن حاضراً يوم استشهاد بناته وزوجته.

وبعد إحضارها ومثولها بين يدي الحاكم، حاول في البداية

إغراءها إلا أنها لم تتأثر بكل مغرياته التي عرضها عليها، فتوعدها بالتعذيب والقتل إلّا أن هذا الأمر زادها ثباتاً أكثر، فردت عليه بشيء من التحدي بتكرار قولها أنها مسيحية ومؤمنة بذلك، فاستشاظ غيظاً هذا الوالي وأمر بإحضار بناتها الثلاث للضغط عليها من خلالهن، فأخذت صوفيا تهدئ من روع بناتها وتطلب منهن الثبات وعدم الخضوع والتراجع، فأجبن البنات الحاكم بمثل جواب والدتهن صوفيا، عندها أمر الحاكم بقتل البنت الكبرى منهن أمام والدتها وشقيقاتها، فتحملت وتجلّدت صوفيا، وعمدت إلى تهدئة روع ابنتها من خلال الحديث معها حتى قضت حتفها أمام ناظريها، وعندما وجد هذا الحاكم الطاغي ثبات صوفيا أمر بقتل البنت الثانية الوسطى، وحصل معها مثل الذي حصل مع شقيقتها الكبرى من خلال تثبيت والدتها لها، فأمر الحاكم أخيراً بقتل الصغرى، فرقّت لحالها صوفيا إلا أنها لم تهن ولم تضعف، وهكذا قتلت وأعدمت الأخيرة من البنات، فخرّت صوفيا على الأرض شاكرة لله بأن بناتها لم يضعفن، ولم يخفن، وقضين نحبهن شهيدات دفاعاً عن الدين المسيحي.

فاحتار الحاكم الطاغي بأمرها، إذا أنها شهدت مقتل بناتها الثلاث ولم تضعف ولم تغير موقفها، فأمر بقطع لسانها الذي تبشّر به إلى الدين الجديد (المسيحية)، وإطلاق سراحها على أمل أن تموت كمداً وحسرةً على حال بناتها وحالها.

وبالفعل، وقبل إطلاق سراحها، أشارت إلى أجساد بناتها ورؤوسهن المقطعة تريد حملهن معها، فأعطين لها، وخرجت بهن من

القصر. ولم تعش صوفيا بعد هذه الحادثة وبعد دفن بناتها لمدة تزيد عن ثلاثة أيام، حيث قضت نحبها محتسبة ومظلومة، وشهيدة هي وبناتها الثلاث العذارى، كما يطلق عليهن ذلك في الأدبيات المسيحية الحديثة.

وهناك رواية أخرى تتحدث عن أن الحاكم أمر بقطع رأس صوفيا وإلحاقها ببناتها، حيث تم استنقاذ جسدها من أيدي الجند لاحقاً من خلال امرأة مسيحية تخفي إيمانها، دفعت لهم الأموال الكثيرة من أجل ذلك. ومهما كان الأمر، ففي كلتا الحالتين قضت شهيدة محتسبة ومتمسكة بدينها عن علم ووعي وشجاعة، حتى أضحت بعد وفاتها مثالاً للتضحية والفداء في الوسط المسيحي والإنساني، إذ أنها من خلال هذه التضحية الكبرى قدمت إنموذجاً عالياً للحرية الفكرية الإنسانية، وليس من الغريب أن نجد أن التاريخ قد مجّد اسمها، بحيث أصبح اسماً مسيحياً مقدساً تتشرف به من تحمله، كذلك إطلاق هذا الإسم على العديد من الكنائس ومنها ثلاث في لبنان في منطقة صفرا وبلاط وإهمج، أو الكاتدرائيات حول العالم، وخاصة لدى أتباع الكنيسة الشرقية، ومنهم الأقباط. وفي هذا دليل إضافي على أنّها من مصر (المنوفية).

### أين دفنت القديسة صوفيا؟

هناك روايتان حول مكان دفن صوفيا: **الأولى** تتحدث عن مصر في المرحلة الأولى ومن بعدها نقل جثمانها إلى القسطنطينية (إسطنبول حالياً).

**والثانية**: أنها دفنت في المقابر الرومانية التي اندثرت معالمها على مر القرون وشيّد عليها العديد من الكنائس، والتي أندثرت أيضاً قبل تشييد الكاتدرائية الحالية، حيث كانت هذه المنطقة تحت سلطة الإمبراطورية الرومانية آنذاك، أي في المنطقة التي تعرف حالياُ بمدينة صوفيا في بلغاريا، وإنّما سمّيت هذه المدينة بصوفيا نسبة إلى الكنيسة المشهورة فيها.

والأرجح بين الرأيين بحسب المعطيات التاريخية أنها في القسطنطينية، حيث تلك الكتدرائية الضخمة التي تحولت إلى مسجد أيام الدولة العثمانية، قبل أن تتحول أخيراً إلى متحف ما يزال يحمل اسمها (آيا صوفيا) في إسطنبول.

ذلك لأن الإمبراطور قسطنطين باني مدينة القسطنطينية وبعد اعتناقه للمسيحية، سمع الكثير عن كرامات القديسة صوفيا في مصر، فأمر ووالدته القديسة هيلانة بنقل جثمانها إلى المكان الذي باشر في بنائه في القسطنطينية، إلّا أن الكاتدرائية لم تأخذ شكلها النهائي إلا في عهد الإمبراطور جستنيان عام 537م وذاع صيتها لفخامة بنيانها.

والذي يهمنا هنا، هو استعراض سيرة هذه المرأة الفاضلة، أكثر من التحقيق الأركيولوجي عن مكان دفنها بالدقة العلمية لخروج ذلك عن موضوع البحث.

وما تزال الكنيسة القبطية في مصر وحول العالم تحتفل بذكرى استشهاد القديسة صوفيا في السادس من شهر توت حسب التقويم

القبطي. وفي هذا دلالة إضافية بصحة إنتمائها إلى الشرق ومصر تحديداً.

أمّا عن الكنيسة الموجودة في بلغاريا والتي تحمل إسم صوفيا، فإنها كنيسة قديمة جداً يعود تاريخ بنائها إلى أواخر القرن الخامس الميلادي ولا يوجد فيها ضريح للقديسة صوفيا، أما عن سبب أنها أثرية وتعتبر من الكنائس القديمة في العالم لا سيّما أوروبا، وتم تجديد عمارتها في القرن التاسع الميلادي، وما تزال تجري عليها عمليات الترميم والصيانة ليومنا هذا، لأنها مدرجة على لائحة الأونيسكو للتراث العالمي.

**وقبل الختام نقول**: السلام على عباد الله المخلصين والمؤمنين به، والأحرار في مقابل الظلم والطغيان، والمضحين في سبيل الحق، والسلام على القديسة صوفيا وعلى بناتها الشهيدات والمظلومات.

ومن الأدلة على صحة إيمانها، وعظيم تضحياتها، شيوع اسمها في العالم وبقاؤه خالداً ليومنا هذا، **فما كان لله ينمو**.

أما ذاك الطاغي الحاكم، فحاله كان كحال كل طواغيت العالم عبر التاريخ، حيث ابتلي بالعمى البصري بعد العمى القلبي، وبجملة من الأمراض ومات ميتة شنيعة كما يحدّث التاريخ عنه.

**أمّا ختاماً فنقول**: ما أشبه مصاب القديسة صوفيا ببعض مصائب عقيلة الطالبيين الحوراء زينب الكبرى عليها السلام، فالقديسة صوفيا قدّمت نفسها وبناتها في سبيل الله، ولم تدم معاناتها أكثر من أربعة أو خمسة أيام على الأكثر.

أما وروحي فداها زينب العقيلة، فقد قدّمت لله سيّدها، وإمامها، وأخاها أبي عبد الله الحسين مع باقي إخوتها، لا سيما أبي الفضل العباس، كذلك أبناءها الأربعة، وأولاد إخوتها، وبعض الأخوات أو البنات من النسوة، وفوق كل ذلك تعرضت للضرب بالسياط، وسبيت من العراق إلى الشام، وتحملت كل هذا الأذى واحتسبت ذلك عند الله، بعزيمة وصبر ويقين لم يعرف، ولن يعرف التاريخ مثلهما، وهو الذي تجلى بقولها عندما وضعت يديها تحت جسد أخيها الحسين المقطوع الرأس: **اللهم تقبل منا هذا القربان فداءً لوجهك الكريم**. كما إن معاناتها لم تنقض حتى وفاتها وهي مدة لا تقل عن العامين.

**فالسلام على سيدتي القديسة صوفيا، والسلام على سيدتي ومولاتي العقيلة زينب الكبرى، فالشجرة الطيبة أصلها ثابت دائماً وفروعها ممتدّة في السماء.**

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

صورة تظهر الدكتو أحمد قيس في الطريق المؤدية إلى كنيسة صوفيا في بلغاريا

صورة عامة كنيسة وكتدرائية صوفيا في بلغاريا

صورة لهذه الكنيسة من الجهة الأمامية

صورة للكنيسة من الناحية الجانبية ويبدو الدكتور أحمد قيس في وسط الصورة

صورة للدكتور أحمد قيس أمام
مدخل الكنيسة والكاتدرائية من جهة اليمين

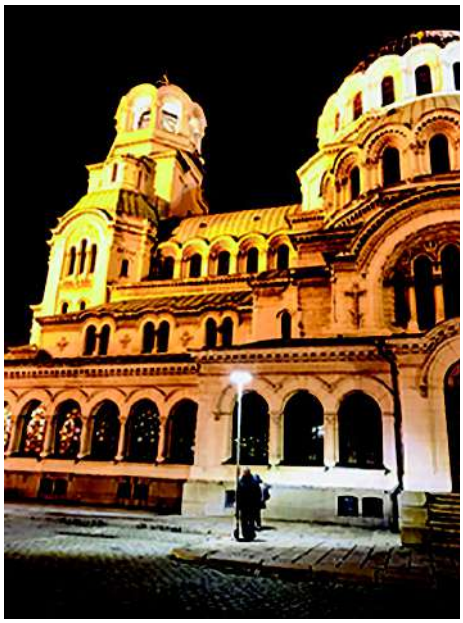

وصورة أخرى لمدخل الكنيسة
والكاتدرائية من جهة الشمال

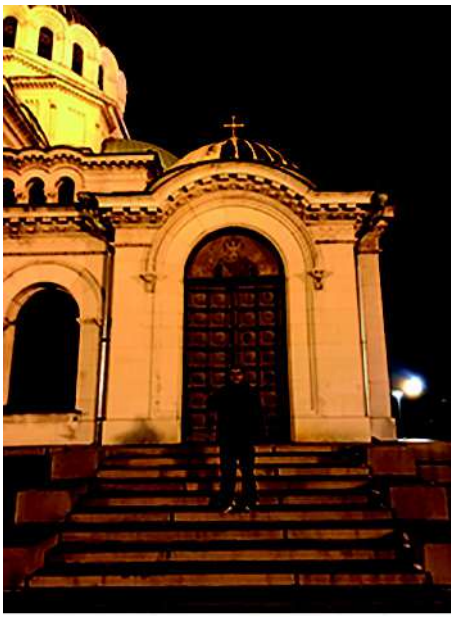

صورة للدكتور أحمد على أدراج
مدخل الكاتدرائية من جهة اليمين

صورة لواجهة كنيسة وكاتدرائية صوفيا في
بلغاريا ويبدو الدكتور أحمد قيس في الوسط

صورة بانورامية من داخل الكنيسة والكاتدرائية

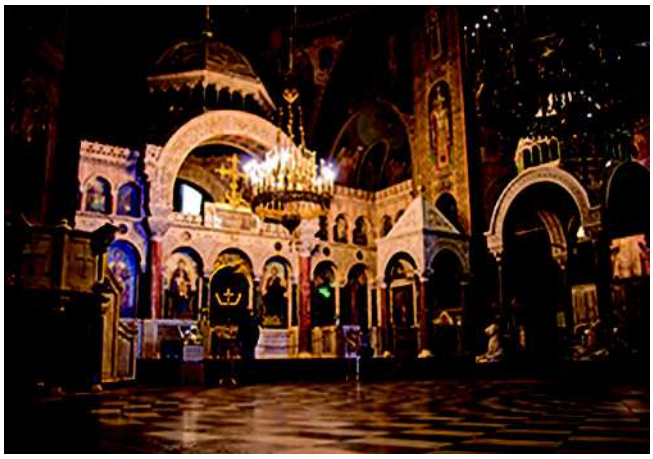

وأيضاً صورة من داخل الكنيسة حيث تبدو الجداريات الفنية التراثية المسيحية

وأيضاً صورة أخرى تظهر هندسة القباب من داخل الكنيسة

صورة من داخل الكنيسة لجهة اليمين حيث تبدو آثار العمارة القديمة والمقوّصات

جدارية تحكي عن آباء الكنيسة والذين تعاقبوا على الإشراف عليها

جدارية في وسطها صورة الملك الأرثوذكسي وعلى جانبها أسماء الملوك أو الحكام الذين تعاقبوا على السلطة في بلغاريا

صورة أخرى لأحد الملوك البلغاريين

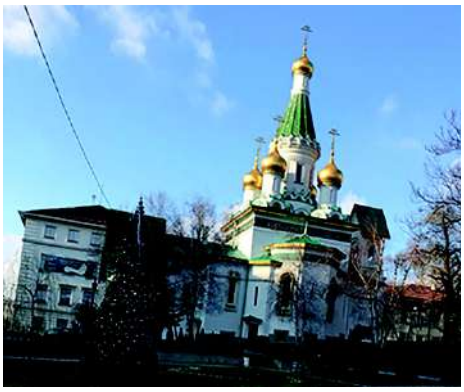

صورة الكنيسة الأرثوذكسية الروسية
والتي تقع قرب كنيسة صوفيا

صورة قباب كنيسة صوفيا المذهبة
في بلغاريا كما تبدو من بعيد

كنيسة آيا صوفيا في اسطنبول والتي تحولت إلى مسجد ومن بعده إلى متحف مشهور

صورة بانورامية من داخل آيا صوفيا في اسطنبول

صورة من داخل آيا صوفيا في اسطنبول وتظهر الجداريات والرسوم المسيحية الفنية

وأيضاً جداريات ورسومات فنية جميلة جداً مسيحية في داخل آيا صوفيا (اسطنبول)

صورة ترمز للقديسة صوفيا وبناتها

# جبل موسى
# والقديسة كاترين

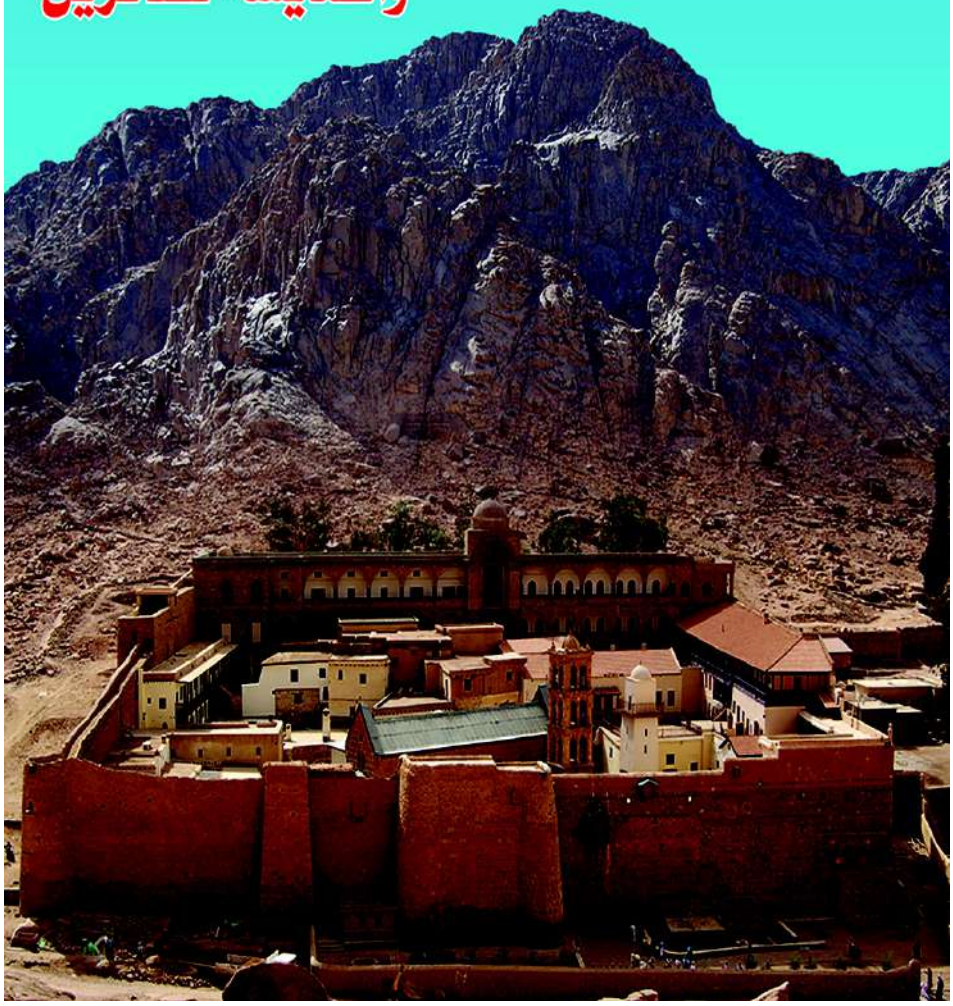

# مصر رمز عريق من رموز الحضارة الإنسانية والتنوع الفكري والديني

## (جبل موسى عليه السلام وجبل القديسة كاترين نموذجاً)

في البداية لا بد من التأكيد على أمرٍ مهم وهو أن اختياري للعنوان إنما هو على سبيل الحقيقة والواقع العلمي والعملي، لا من باب الدعاية أو المجاملة أو أي شيئ من هذا القبيل، وهذا ما سوف تعرفه عزيزي القارئ في سياق هذه المقالة بشكل تلقائي، إذ أن أي إطلالة أو دراسة في التاريخ الإنساني من أي نوع كانت هذه الدراسة، سوف يجد الباحث نفسه فيها يتعرض إلى نماذج لها إرتباط موضوعي بمصر بشكل من الأشكال. حيث أن مصر تفرض نفسها على التاريخ والحاضر وأيضاً على المستقبل في مجالات وسياقات لا مجال لذكرها الآن.

فمصر هي التي تفرض نفسها وحضورها كما ذكرت وليست بحاجة إلى من يعرّف عنها ويتحدث عن أهمية دورها الجغرافي والحضاري والثقافي، وذلك لأنها شكّلت معلماً مهماً في التاريخ الإنساني في كافة أطواره عبر الأزمنة والعصور.

ويكفيها فخراً أنها أرض قبّلت أقدام الأنبياء والأولياء والعلماء وتمّ ذكرها في القرآن الكريم في أكثر من مناسبة لا يمكن إحصاؤها في هذه العجالة. كذلك الأمر في جميع الكتب السماوية وغيرها. فعلى جبل

من جبالها كلّم الله موسى عليه السلام تكليما، وهو الذي يعرف بجبل موسى عليه السلام أو جبل الطور.

ولو كان للجبال أن تتحدث وتبوح بأسرارها لحكت من الأخبار والحكايات الكثير الكثير منها على سبيل المثال: من ههنا مرّ نبيّ الله إبراهيم عليه السلام، وهنا على هذه الصخور جلس روح الله عيسى عليه السلام، ومن هنا سارت القافلة التي أقلّت يوسف عليه السلام، وعند ذاك السفح هرول نبي الله يعقوب عليه السلام لملاقاة حبيبه يوسف عليه السلام، وبين تلك الوديان عاش النبيان موسى عليه السلام وهارون عليه السلام، وتحت تلك الحصى وذلك التراب يرقد نبي الله صالح عليه السلام والى جواره في مكان قريب نبي الله هارون عليه السلام.

في منطقة جبل موسى عليه السلام والتي تعرف بطور سيناء تتوحد القلوب بحثاً عن الغفران، حيث تحتضن ما لا يمكن إحصاؤه من المعجزات والكرامات، لذا فإنه مكان تجتمع فيه القلوب والنفوس وتتّحد الأديان، ويرتقي الإنسان ويلامس بعقله وقلبه السماء.

وجبل موسى عليه السلام هو ثاني أكبر جبل في مصر ويقع في محافظة سيناء، ويبلغ ارتفاعه 2285 متراً فوق سطح البحر.

وسمي بجبل موسى نسبة إلى النبي موسى عليه السلام الذي كلمّه ربّه فيه، وتلقى منه الوصايا التي نقشت على الألواح الحجرية وهذا ما تقول به كل الديانات السماوية كاليهودية والنصرانية والإسلام. ويعتبر هذا الجبل من أشهر جبال سيناء ويليه جبل كاترين الذي سيأتي الكلام عنه في السياق.

ويزور هذا الجبل (جبل موسى) الآلاف من السياح من كافة أرجاء المعمورة لروعة المناظر الطبيعية والخلابة التي يمكن مشاهدتها من أعلى الجبل وخاصة عند شروق الشمس أو غروبها. والطريق المؤدية إلى الجبل بشكل عام صعبة ووعرة وتعتبر بحد ذاتها مغامرة مشوقة وسياحة دينية وطبيعية في آنٍ معاً.

ويرافق السياح عادة مجموعة من الأدلّاء الذين يعملون على إرشادهم ومساعدتهم في هذه الرحلة الحسّية في فضاء التاريخ الديني الذي يلامس القلب والوجدان ويحرك العقل في إتجاه المعبود الأوحد قبلة الأولين والآخرين الله سبحانه رب العالمين.

والى جوار جبل موسى عليه السلام يقع جبل كاترين. والذي يوجد فيه دير سانت كاترين وهو على ارتفاع 2629 متر لذا فهو أعلى من جبل موسى وأعلى الجبال في مصر قاطبة لكنه بالمرتبة الثانية لجهة اهتمام السياح به بشكل عام.

وسمي الجبل بهذا الإسم تخليداً للقديسة كاترين في المسيحية من الإسكندرية وهي من أهم القديسات في الغرب ولها دور كبير في انتشار المسيحية وماتت فداءً لذلك. ويوجد بالمنطقة دير وهو دير طور سيناء أو دير سانت كاترين، وتقول القصة: أن رهبان دير وجدوا جسدها في أعلى الجبل بعدما كانت قد أعدمت في الإسكندرية ومن ثم اختفى جسدها لذا يقال أن الملائكة بحسب المفهوم المسيحي أو حتى الصلحاء من أتباع الديانة المسيحية آنذاك قد استنقذوا جسدها وحملوه بعيداً حتى وصلوا إلى أعلى الجبل. وعلى كل حال فقد تم دفنها هناك وتم توسعة الدير وأصبح محجّة لكل المؤمنين المسيحيين والسياح على حد سواء.

كما يوجد في أعلى الجبل مصلى خاص وهو عبارة عن المكان الذي وجد فيه جسدها وبالقرب من هذا المصلى يوجد حجرتين حيث يمكن للحجاج إلى الجبل أن يبيتوا، أمّا الطريق إلى الجبل فإنه صعب إلى حد ما ولكن يمكن تسلقه من معبر قام أحد كهنة الدير بإنشائه.

ومن أعلى الجبل يمكن رؤية خليجي العقبة والسويس بشكل واضح وأخّاذ.

**خصوصية دير سانت كاترين**: يقع دير سانت كاترين في جنوب سيناء بمصر أسفل جبل كاترين أعلى الجبال بمصر بالقرب من جبل موسى ويقال عنه أنه أقدم دير في العالم ويعد مزاراً سياحياً مهماً حيث تقصده أفواج السيّاح من جميع أصقاع العالم.

وهذا الدير منعزل عن الناس ويديره رئيس الدير وهو أسقف سيناء والذي لا يخضع لسلطة أيّة بطركية أو مجمع مقدس ولكن تربطه علاقات وطيدة مع بطريرك القدس لذلك فإن إسم بطريرك القدس يذكر في القداديس على الرغم من أن الوصاية على الدير كانت لفترات طويلة للكنيسة الأرتودكسية الروسية ورهبان وكهنة الدير من اليونانيين وليسوا عرباً أو مصريين شأنهم شأن أساقفة كنيسة الروم الأرثوذوكس في القدس التي يسيطر عليها اليونانيون منذ عهود طويلة، وأسقف سيناء يدير إلى جانب الدير الكنائس والمزارات المقدسة لدى المسيحيين والموجودة في جنوب سيناء في منطقة جبل الطور وواحة فيران وطرفة. وبني هذا الدير بناءً على أمر الإمبراطورة هيلين والدة الإمبراطور

قسطنطين ولكن الإمبراطور جستنيان هو من قام فعلياً بالبناء في عام 545 م ليحوي رفات القديسة كاترين التي كانت تعيش في الإسكندرية.

**قصة القديسة كاترين**: تقول الأخبار أن القديسة كاترين تنحدر من عائلة ارستقراطية وثنية ولدت في الإسكندرية عام 194 م وكانت تسمى زوروسيا وكانت مثقفة شأنها شأن أبناء العائلات الثرية الأرستقراطية وأيضاً كانت جميلة بحيث رغب بها الجميع لجمالها ومكانتها الإجتماعية إلا أنها رفضت الجميع وآمنت بالدعوة المسيحية وذلك في فترة حكم الإمبراطور مكسيمونوس واضطهاده للمسيحيين، وقامت باتهامه علناً بعبادة الأوثان وتقديم التضحيات لها مما اضطر الإمبراطور إلى الإستعانة بخمسين خطيباً من جميع أنحاء الأمبراطورية لكي يقنعوها بالرجوع عن دينها ودعواها إلا أن المفاجأة كانت باعتناق هؤلاء الخطباء جميعاً للمسيحية مما أثار حفيظة هذا الإمبراطور الظالم والوثني فأمر بقتلها وبعد ذلك فقدت جثتها.

إلا أنه وبعد مرور ثلاثة قرون على وفاتها وجد جثمانها فأمر الإمبراطور جستنيان بوضعه في صندوق رخامي في الدير الذي بناه عام 545 م ويقال أن رائحة الطيب ما تزال تفوح من رفاتها مما شكل أعجوبة دائمة. ولأجل تضحياتها ولأجل هذه الأعجوبة قدسها المسيحيون، وحمل هذا الدير الموجود فيه رفاتها إسمها منذ القرن الحادي عشر كما أطلق اسمها على العديد من الكنائس وخاصة تلك التي في الإسكندرية. والملفت للنظر أيضاً وجود مسجد صغير للمسلمين داخل الدير بناه أحد حكام مصر في العصر الفاطمي وذلك

من أجل إيجاد حامية للدفاع عن هذا الدير من الهجمات التي كان يتعرض لها من حين إلى آخر.

ولاحقاً قام نابوليون بونابرت أثناء الحملة الفرنسية على مصر ببناء وتقوية السور الذي يحيط بالدير حتى وصل إلى علو 200 قدم وأقام في محيطه دفاعات لحمايته من الغزو أو الهجمات.

وقيمة هذا الأثر الديني أنه يحتوي على العديد من الهدايا النفيسة التي قام بإرسالها الملوك والأمراء، وبه أيضاً بئر يقال أنه بئر موسى التي فجّرها للأسباط كما يقال أيضاً أن فيه شجرة موسى التي اشتعلت بها النيران وكلمه الله من خلالها، كما يحتوي الدير على ثاني أكبر مكتبة للمخطوطات بعد الفاتيكان. حيث وجد فيه الألماني (فون تشندروف) وهو عالم ورسام وباحث متخصص في الأناجيل القديمة، حيث عثر هذا العالم على أقدم نسخة للإنجيل تعود للقرن السادس الميلادي وذلك بشكل مخطوط في دير سان كاترين عام 1843 م.

وظهر هذا المخطوط إلى العلن عام 1933 م أي بعد تسعين عاماً، وذلك عندما اتصل جوزيف ستالين بالحكومة البريطانية من اجل أن يبيع لها انجيل تشندروف نتيجة الأزمة الإقتصادية الخانقة وقتها في الإتحاد السوفياتي، وتمت عملية البيع مقابل 100 ألف جنيه إسترليني وكان هذا السعر أغلى من سعر أي مخطوط في العالم وهو الآن (المخطوط) موجود في المتحف البريطاني.

وبعد اكتشاف تشندرف لهذا المخطوط أي في عام (1843 م)، عثرت الأختان مرجريت وأنجيس سميث في سرداب أسفل مكتبة دير

سان كاترين على أقدم نسخة مخطوطة للأناجيل الأربعة على الإطلاق حيث تعود كتابتها إلى القرن الثاني الميلادي أي قبل أربعة قرون من تاريخ كتابة مخطوط تشندروف، وكان هذا الإكتشاف في عام 1870م.

ويتميّز هذا الإكتشاف الجديد بأنه الأقدم على الإطلاق كما أنه مكتوب باللغة السوريانية وهي اللغة التي كان يتكلم بها السيد المسيح عليه السلام.

وقد قامت الأختان بتصوير هذه المخطوطات تصويراً فوتوغرافياً ناهزت أعداد هذه الصور على الألف.

وعلى إثر ذلك تشكلت بعثة علمية مؤلفة من الأختين سميث، والبروفوسير راندل هاريس، والبروفوسير روبرت بنتلي المتخصص في الدراسات الشرقية في جامعة كامبريدج، والبروفوسير فرانسيس بيركيت، لدراسة هذا الإكتشاف عن قرب.

وعليه، وبعد التدقيق والتحقيق تم تأكيد صحة وتاريخ المخطوطات وبقيت نسخ الأناجيل المخطوطة في مكتبة الدير ولا يعلم عن مصيرها شيئاً حالياً سوى تلك الصور الفوتوغرافية الموجودة في المتحف البريطاني أيضاً.

وبالإضافة إلى وجود رفات القديسة كاترين فإن هنالك أيضاً رفات لعدد كبير من الرهبان الذين عاشوا في هذا الدير وخدموا فيه.

والجدير بالذكر أن إدارة الدير تلزم جميع السياح الغربيين وغيرهم بالإحتشام بالملابس عند الدخول إلى الدير وتؤمن لهم الملابس

المناسبة والفضفاضة لأجل ذلك. ويمكن الولوج إلى هذا الدير من باب صغير على ارتفاع 300 متر بواسطة صندوق على شكل رافعة على هيئة المصعد في عصرنا الحالي أو من خلال باب صغير استحدث لاحقاً في أسفل الجدار.

وفي ختام هذه المقالة لا بد من أن أشير إلى أنني وأثناء قراءتي لسيرة وحياة هذه المرأة الفاضلة، والمؤمنة الأبية والحرّة الشهيدة، من تأثري وإعجابي الشديدين بها، كما أنها أثارت في داخلي لواعج الحزن والأسى لما شكلت سيرة حياتها وتضحياتها جانباً من سيرة وحياة وتضحيات سيدتي ومولاتي زينب عليها السلام. فالسلام كل السلام على عباد الله، الأحرار في سبيله، الذين باعوا الدنيا وعزفوا عنها طاعةً له ويقيناً به، وبذلوا الغالي والنفيس من أجل ذلك.

أليست زينب عليها السلام القائلة بعد استشهاد أخيها الحسين عليه السلام: «اللهم تقبل منا هذا القربان فداء لوجهك الكريم. . . .».

لذا لا أجد حرجاً أو غضاضة في القول: السلام عليك يا أيتها القديسة كاترين وهنيئاً لك الشهادة في سبيل الله.

وهنيئاً لأهل مصر لوجودك الكريم بينهم.

**وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.**

صورة تظهر جبل موسى وإلى جانبه جبل كاترين

صورة تظهر وعورة الطريق المؤدية إلى أعلى الجبل والإستعانة بالجمال من أجل ذلك

صورة تظهر مجموعة من السيّاح أثناء استراحتهم بعد وصولهم إلى أعلى الجبل

صورة تظهر روعة المناظر الطبيعية التي يمكن مشاهدتها
من أعلى الجبل وخاصة عند شروق الشمس أو الغروب

صورة تظهر جبل كاترين ويبدو في أسفل الجبل دير سانت كاترين

صورة تظهر دير سانت كاترين بشكل عام مع السور الذي يحيط به

صورة تظهر سور الدير وتبدو معالم الزيادة عليه بمراحلها المختلفة

صورة تظهر برج كنيسة سانت كاترين وإلى جانبها المئذنة الخاصة بالمسجد الذي بني بالعهد الفاطمي

مشهد من داخل ساحة كنيسة الدير

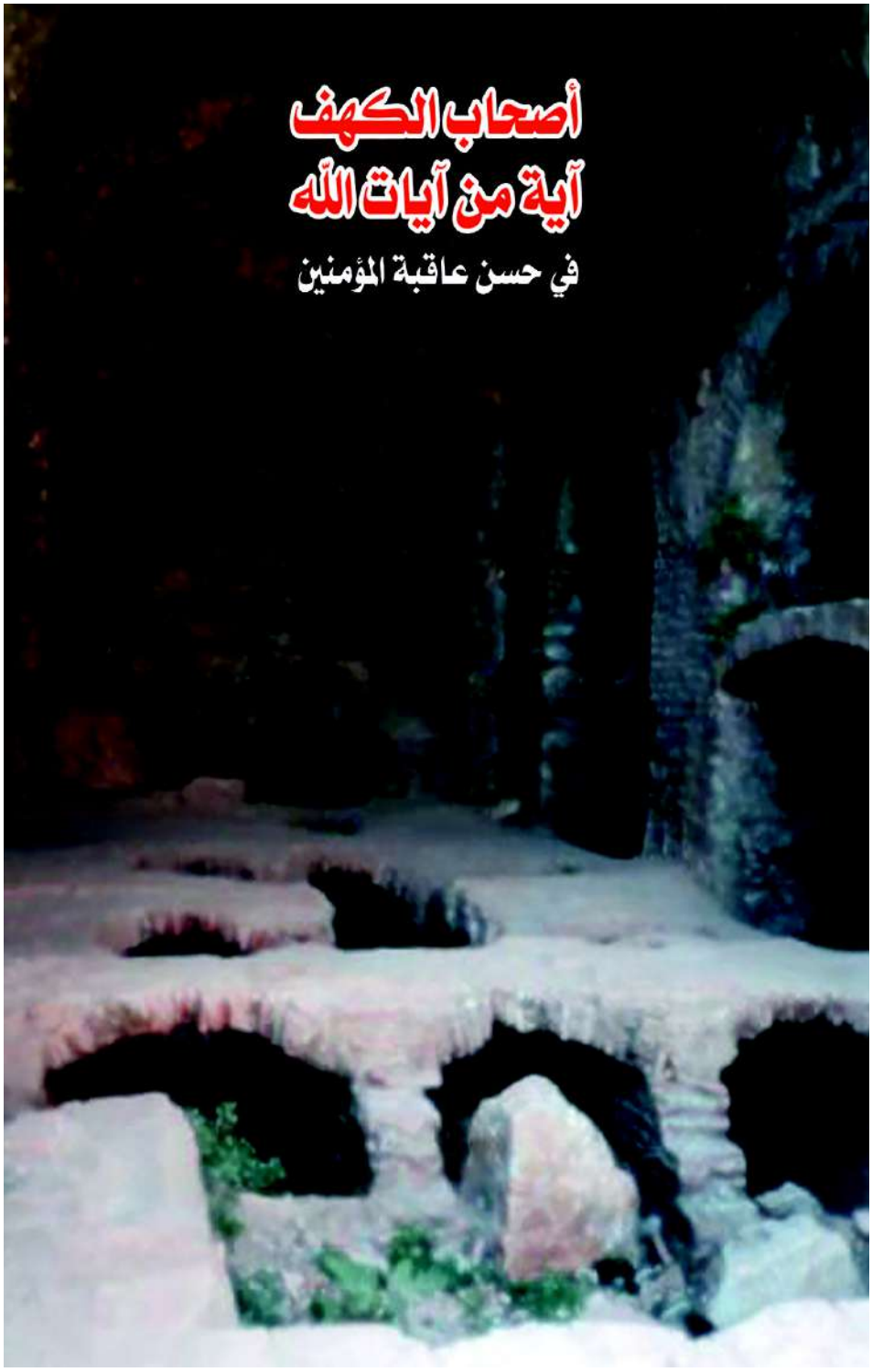
أصحاب الكهف
آية من آيات الله
في حسن عاقبة المؤمنين

# أصحاب الكهف

## آية من آيات الله
## في حسن عاقبة المؤمنين

خلّد الله سبحانه وتعالى أصحاب الكهف من خلال ذكرهم بالقرآن الكريم، إذ وردت سيرتهم المباركة في سورة حملت اسمهم، وهي سورة الكهف. حيث يقول تعالى فيها: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الكهف: 9-10].

وقبل البداية، لا بد من الإشارة إلى ان أصحاب الرقيم الوارد ذكرهم في الآية المباركة هم غير أصحاب الكهف موضوع هذا البحث، ولعل الباري يهيئ لنا فرصة لإفراد بحث خاص عنهم لاحقاً.

أما عن أصحاب الكهف رضوان الله عليهم، فإنهم حملوا إسم الكهف الذي لجأوا إليه، وإلا فإنّ أسماءهم سترد معنا في السياق. والكهف في اللغة: هو المغارة في الجبل إلّا أنه واسع، فإذا كان صغيراً فيطلق عليه إسم غار، كغار حراء الذي كان النبي ﷺ يتعبّد الله فيه، وهو مكان هبوط ونزول الوحي عليه ﷺ في أول سورة من سور القرآن الكريم.

ويبدو في الكتابات والروايات التاريخية أن أخبار وقصة أصحاب

الكهف كانت معروفة عند اليهود وبشكل أوسع عند النصارى قبل الإسلام، وذلك لأنهم مسيحيون على دين السيد المسيح عليه السلام. كما أن تاريخ حصول هذه الحادثة هي في الفترة الممتدّة بين المسيح عليه السلام وبين بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وسيتبين معنا في أثناء السرد، أن الأخبار حول قصة أصحاب الكهف إلى حدٍ ما متضاربة وغير دقيقة لجهة تاريخ القصة وزمن حصولها وبعض التفاصيل الأخرى، إلّا أن المقطوع به والمسلّم فيه، هو حصولها لأنها وردت في الكتاب المجيد، وفي السّنة الشريفة. وقد أجمل العلامة السيد حسن لواساني قصّتهم في كتابه (تاريخ الأنبياء) بشكل أدبي جميل، فكفانا بذلك مؤونة عناء البحث والتدقيق، فجزاه الله خير الجزاء.

وعن قصة أصحاب الكهف، أورد السيد لواساني: «وأما أصحاب الكهف فقد روي في قصتهم أنه كان بأرض من بلاد الروم (أي تركيا اليوم) مدينة كانت تسمى (أقسوس)، أو لعلها (أفسوس)، وعليها ملك يدعى (دقيانوس)، كان ظالماً شديد القسوة على النصارى المؤمنين بالمسيح عليه السلام، وكان ذلك بعد ارتفاعه عليه السلام إلى السماء بعهد طويل، وبعد أن كانت الديانة المسيحية تنتشر وتعم في الأديار المحيطة بفلسطين والبعيدة عنها.

ويُنقل عن زخارفه وتزييناته الشيء الكثير، فقد كان أنشأ قصوراً عظيمة عالية، وقاعاتٍ وأبهاء رحبة مجلّلة، ذات اسطوانات ونمارق وأستار مرصّعة بالجواهر الكريمة، ومقاعد وكراسي وآنية مطلية بالذهب

والفضة، واتخذ غلماناً بأقبية وسراويل من ديباج وسندس وحرير، بألوان زاهية براقة، ونقوش ورسوم عديدة، وجوار بأردية زاهية، وأثواب جميلة، وخلاخل بالأرجل، وعقود وأسورة في الأعناق والأيدي..

وزادت سطوته وعلا شأنه حتى أسكره الغرور والزهو، فما رأى أحداً فوقه، واستصغر جميع البشر، ثم ادّعى الألوهية وأمر الناس بعبادته، وبطش بأخصامه وكل من خالفه في مدّعاه، حتى إستتب له الأمر، وجاراه الناس في دعواه ومزاعمه.

وكان دقيانوس قد اتخذ ستةً من أبناء العلماء وزراء له، جاعلاً ثلاثةً منهم عن يمين عرشه، وكانوا يدعون (تمليخا) و(مكسلمينا) و(منشيلينا)، وثلاثة عن يساره كانوا يدعون (مرنوس) و(ديرنوس) و(شاذريوس)، وكان يستشيرهم في جميع أموره ويعهد إليهم بالأعمال المهمة، ويثق بإخلاصهم وحسن تصرفهم وتدبيرهم.

وكان دقيانوس قد اتخذ لنفسه عيداً في يوم خاص من كل سنة، يجتمع إليه فيه أعيان مملكته وكبار رعيته ورؤساء الكهنة وقادة الجيش وجماهير الناس، فيهزجون له ويعظّمونه، ويقضون يومهم ذاك في لهو ومرح واحتفالات وأطعمة وخمور، وحدث مرة في صبيحة يوم العيد أثناء استعداد الملك دقيانوس للخروج إلى الناس وبدء الإحتفالات، أن دخل عليه أحد رجاله، فأخبره أن جيش ملك الفرس قد دخل بلاده وغشي قراه، وأنه يتقدم نحو عاصمته، فظهر الخوف على دقيانوس وغلب عليه الجزع، ولحقه غم شديد ظهرت أثاره على وجهه.

فلما رأى تمليخا ذلك، دهش وجعل يتساءل: (لو كان دقيانوس إلهاً كما يزعم، لما كان يعرف الخوف، ولكان عليه أن يعرف قبل بطانته ورجال حاشيته بزحف جيش الأعداء على بلاده، بل لما قدر أي جيش في العالم على اقتحام شيء من أرضه..)، ثم انتبه فجأة إلى أمر آخر كان قد غفل قبلاً عنه، وهو أن دقيانوس الملك يأكل ويشرب ويتغوّط وينام مثل أي إنسان آخر، وليست هذه من أعمال الإله، فاستغرقته هذه الأفكار واستحوذت عليه بقية يومه.

فلما كان المساء، اجتمع تمليخا إلى زملائه الوزراء الخمسة في مجلس كانوا يتناوبونه بينهم، فيعقدونه كل مره في بيت أحدهم، وكان اجتماعهم ذلك المساء ببيت تمليخا نفسه، ولما اكتمل عقدهم، وعمدوا إلى تبادل أحاديثهم المعتادة، لم يجارهم تمليخا ولم ينطلق معهم، بل كان يبدو عليه الهم والتفكير. ولما وضع الخوان للطعام، لم يتناول منه تمليخا شيئاً يذكر، حتى أثار حاله زملاءه وألحّوا وألحفوا عليه بالسؤال عما به، إلى أن انفتح أخيراً قلبه لهم، وجعل يبثهم شكوكه وهمومه، ويتساءل أمامهم عن رافع هذه السماء العالية، وداحي هذه الأرض البسيطة، ومقرّ الجبال، وخالق الشمس والقمر والنجوم، ومنظّم الكون، ومبدع الإنسان، ومغذي الجنين الخ..... وهل هو دقيانوس الذي يأكل كما نأكل، ويغفل كما نغفل، ويحتاج كما نحتاج، ويخاف كما نخاف؟؟؟ وجعل يسترسل في أسئلته ويظهر استحالة قدرة دقيانوس على إنشاء كل هذه الخلائق وإبداع كل هذه البرايا.

وقد كان الوزراء الخمسة الآخرون ذوي فهم وعلم ونظر ثاقب،

وكانت بعض هذه الأفكار قد انتابت بعضهم قبلاً، فلما جسر تمليخا على ذكر هذه الأمور، دهشوا وتخوفوا أولاً، ثم سلّموا بصواب أفكاره، وتساءلوا عن ما يجب أن يعملوه من أجل التخلص من عبادة العبد العاجز دقيانوس، والخلوص في العبادة لله تعالى، فقال تمليخا: (أما أنا فإنني على دين المسيح عليه السلام الذي دعا إلى إلهٍ واحدٍ فردٍ صمد قادر رحمان رحيم)، فقالوا جميعاً بصوت واحد: (ونحن مثلك كذلك، موحدون مؤمنون بإله المسيح عليه السلام وبشريعته، فما الذي ترى أن نفعل الآن؟)، قال تمليخا: (إذ سألتم عن حالي، فإنني قررت أن أترك قصر دقيانوس والتخلي عن ملازمة البلاط، وأن أفرّ إلى جهة مجهولة وأعتزل العالم، لأعبد الله سبحانه حتى وفاتي، وحتى أخرج من الدنيا على سنّة التوحيد وشريعة التجريد)، فقالوا كلهم: (ونحن أيضاً معك، لا نريد هذه الحياة الفانية الكذابة، ولا هذه العبادة الضالة المضللة، ولن نساعد بعد اليوم هذا الطاغية الكذوب الكافر).

وقرّ رأيهم على الهرب جميعاً بوقت واحد، وانصرف كل منهم يبيع سراً ما عنده من ضياع ومتاع، ثم ركبوا معاً خيولهم، وغادروا عاصمة دقيانوس في ساعة مظلمة حتى لا يراهم أحد.

فلما بعدوا كثيراً عن مدينتهم، أشار عليهم تمليخا بترك الخيل وبالسير على الأرجل قائلاً لهم: يا إخوتاه، ذهب ملك الدنيا وجاءت مسكنة الآخرة، امشوا على أرجلكم سعياً إلى الله تعالى، لعله يجعل لكم من أمركم فرجاً ومخرجاً، ويقودنا إلى مأمن من دقيانوس وجنده. فنزلوا وساروا يومهم سبعة فراسخ حتى دميت أرجلهم وأجهدهم

النصب بعد أن غلب عليهم أيضاً الجوع والعطش، فجعلوا يلتمسون مكاناً يأوون إليه، أو أحداً يمدهم بطعام.

وظهر لهم في هذه الأثناء راع يقود أغنامه لمراتعها، وأمام الأغنام كلب يحرسها ويرافقها، فاستوقفوه وسألوه شربةً من لبن أو جرعة من ماء، فقال الراعي: (حباً وكرامة، عندي ما تحبون، ولكني أريد أن تصدقوني القول، فإني أرى وجوهكم وجوه الملك، وما أظنكم من عامة الناس وسوادهم، ولا يبعد أن تكونوا هراباً من دقيانوس الملك)، ولمسوا فيه الطيبة والإخلاص، فقالوا له: (أيها الراعي، إن الكذب حرام، أفينجينا منك الصدق؟)، قال: (نعم)، وأعطاهم العهود والمواثيق على ذلك، فأخبروه بواقع أمرهم، وشرحوا له الأسباب التي جعلتهم يهاجرون في الله تعالى ويتركون ديارهم وأهليهم ومناصبهم، فقال لهم الراعي: (وأنا على رأيكم، وإني لا أدعكم تذهبون دوني)، وسألهم أن ينتظروه حتى يرجع فيسلم الأغنام والكلب إلى صاحبها ويعود إليهم، فأجابوه إلى طلبه.

وذهب الراعي إلى بلدته فسلّم أغنامه إلى صاحبها وعاد إلى القوم ليرافقهم، فإذا كلبه الذي يرافق قطيعه يلحق به - وكان هذا الكلب أبلق بسواد، وكان يسميه (قطمير) - فلما وصل إلى رفاقه وهمّوا بالسير، استمر الكلب في ملاحقتهم، فجعلوا يطردونه حتى راحوا يرشقونه بالحجارة خوفاً من أن يفضحهم بنباحه، ولكنه لم يتراجع، ولم تردّه الحجارة وهم يزدادون حملة عليه وإيذاءً له، إلى أن وقف فجأة أمامهم وأنطقه الله تعالى بلسان طلق ذلق فصيح قائلاً: (يا قوم خذوني معكم،

فإني أريد أيضاً أن أكون في زمرة المؤمنين المهاجرين في سبيل الله، ولعلي أنفعكم برد الأعداء عنكم أو بأي عمل ما)، فكانت هذه المعجزة دليلاً على هداية خطواتهم ورضاء الله تعالى عن عملهم. .فتابعوا مسيرهم بعد أن ضموا الكلب إليهم.

وقادهم الراعي إلى كهف ناءٍ كان قد اكتشفه قبلاً في جبل عال خلال رعيه أغنامه وطوافه في الجبال والأودية والسهول، وكان بالقرب من هذا الكهف عين ماء وأشجار وظلال، فسرّوا به كثيراً، ورأوا فيه مأمناً صالحاً لهم، أولاً لبعده عن الأنظار وعن مدينة دقيانوس وجنوده، وثانياً لوجود الماء بقربه، فلما ولجوه واستراحوا، عمدوا إلى تناول طعامهم الذي كانوا يحملونه ليومهم، والى الشرب من مياه تلك العين العذبة، وشعروا بالحاجة إلى النوم بعد ذلك اليوم المرهق من السير المجد السريع، فتمددوا في جنبات الكهف لينام، وبسط الكلب ذراعيه عند الوصيد أي عند عتبة الباب، لينام بدوره ويستريح.

وأوحى الله تعالى إلى ملك الموت فقبض أرواحهم بهدوء وهم نيام، دون أن يحسوا بآلام الموت أو يشعروا بأي شعور يختلف عن شعور النائم، وقضى سبحانه أن لا تبلى أجسادهم، بل أن تبقى غضّةً طرية كأجساد الأحياء النائمين، وبقيت عيونهم مفتوحة وهم نيام، حتى يحسبهم من ينظر إليهم أيقاظاً ينظرون إلى شيء، بينما هم نائمون بل ميتون، مما يخيف ويرعب من يتأملهم، ووكّل سبحانه بكل منهم ملكاً من ملائكته يقلّبهم ذات اليمين وذات الشمال، لحاجة النائم إلى

التقلب، وأمر بأن يكونوا بمنجاةٍ من أشعة الشمس، فكانت الشمس تميل عن كهفهم في طلوعها وغروبها، وهم في فجوة من الكهف بمنأى عن أشعتها.

وقد أشار الله تعالى إلى هذه الوقائع في عدة آيات من كتابه الكريم في سورة الكهف.

ثم إن دقيانوس افتقد وزراءه الستة بعد العيد فلم يجدهم، واكتشف أنهم هربوا منه وتنكروا له، فغضب غضباً شديداً، وجهّز شراذم من جنوده للبحث عنهم، بعد أن استدعى أقرباءهم وذويهم وعذّبهم طالباً أن يرشدوه إلى مخابئهم، فلم يفيدوه بشيء، لأنهم هم أنفسهم لم يكونوا يعلمون عنهم شيئاً.

وأخيراً اكتشفت فئة من الجنود التي تبحث عنهم الكهف ورأتهم نياماً فيه، فأخبرت دقيانوس، فأقبل وحاشية كبيرة من قواده ورجاله وأتباعه وهو يعتزم مقاصصتهم بأشد أنواع العذاب والنكال ليكونوا عبرة لكل من يجرؤ على مخالفته وعصيانه. ولكن لما قرب الجنود منهم تملّكهم جزع شديد، وتقدم دقيانوس بنفسه فخاف بدوره خوفاً شديداً لأنه رأى قوماً نياماً وعيونهم مفتحة ومنظرهم جد غريب وعجيب. فانصرف عن مقاصصتهم أو الإقتراب منهم، واكتفى بأن يبني على باب الكهف حاجزاً يمنعهم من الخروج ليموتوا بداخله جوعاً وعطشاً. وقال لمن حوله مكابراً متحدياً الله الذي يعبده وزراؤه: (فليتوسلوا إلى إلههم الذي دعا إليه مسيحهم لينجيهم إن استطاع من المصير الذي كتبته لهم). وعاد إلى عاصمته بعد أن تركهم على حالهم في كهفهم.

ولقي دقيانوس بعد أمد حتفه، وخلف بعده عدة ملوك، كان القسم الأخير منهم نصارى مؤمنين بشريعة عيسى عليه السلام. ومضى على حادث فرار تمليخا وأصحابه ثلاث مئة سنة وتسع سنوات، حين قضى الله جل جلاله أن تدب الحياة من جديد في أصحاب الكهف، وأن يبعثوا من الموت ويعودوا إلى الحياة كأنهم ما ماتوا ولا فارقت أرواحهم أجسادهم. وبدأ القوم يتململون ويتثاءبون ويتمططون كمن يقوم من النوم، وبدأوا يفتحون عيونهم وهم لا يدركون أنهم قد طووا من الزمن قروناً وأجيالاً، وينظرون بعضهم إلى بعض، ويتبادلون السلام كأنهم يقومون لساعتهم من نوم ليلة.

وتساءل أحدهم وقد قدّر أن يكونوا قد ناموا كثيراً لشدة تعبهم حين استسلموا للنوم: (كم لبثتم يا اخوتي نائمين؟)، فأجابوا قائلين: (يوماً كاملاً)، ثم تدارك أحدهم وقد ظنّ أن نوم يوم كامل مقدار كبير فقال: (أو أننا نمنا بعض اليوم)، ثم رأوا أن تقديرهم لا ينطبق على مدى ارتفاع الشمس في الأفق، فقالوا: (ربنا اعلم بما نمنا، وليس الأمر مما يهمنا، بل الذي يهمنا الآن أن نتناول طعاماً، لأننا لم نأكل شيئاً منذ ساعات طويلة، ونحن نحسّ بالجوع الشديد، فليذهب أحدنا إلى المدينة ويأخذ معه نقوداً، ليشتري لنا من زكي الطعام وأفضله، ولكن بشرط أن يتخفى ويتلطف في شراء حاجته، أي لا يتصرف بما يلفت النظر إليه لئلا يفتضح، فيكتشف دقيانوس أو جماعته حقيقة شخصه، ثم مخبأنا الذي لجأنا إليه منهم، وعندئذٍ سيرجموننا أو يعيدوننا إلى ملتهم، وذلك هو الخسران المبين).

وقد ذكر الله تعالى هذه الوقائع والأقوال في بليغ كتابه العزيز في سورة الكهف أيضاً.

عندئذٍ قال تمليخا: (لا يذهب في حوائجكم غيري)، وكان يخاف أن يسيء أحدهم التصرف فيفضحهم. ثم أخذ من الراعي ثيابه فلبسها، وتوجه نحو المدينة سالكاً الطريق نفسها التي أقبلوا منها، إلا أنه راح يشاهد مواضع مختلفة ومناظر ينكرها، فاستغرب ذلك وجعل يتساءل إن كان قد ضل الطريق. وما زال في حاله ذاك حتى انتهى إلى البلد، فدخله وهو يشهد اختلافاً به عن حاله الذي تركه عليه (أمس)، فكان يرى طرقاً متباينة، وأسواقاً جديدة، ووجوهاً غريبة غير معروفة، ويسمع لهجات مستنكرة يكاد لا يفهمها، وجعل يتحرى أخبار دقيانوس ويتسقط أقوال الناس بشأنه وشأن زملائه الهاربين، وهو مستخف بثيابه، متنكر بما يحجب وجهه، فأدهشه أن أحداً لا يأبه لما هو فيه، وأنه لم يسمع ذكراً لدقيانوس أو وزرائه الآخرين الذين يعرفهم، حتى فوجىء بشيء أثار عجبه ودهشته أكثر من كل ما لقي، وهو أنه أثناء طوافه في السوق سمع رجلاً يحلف بالمسيح عليه السلام، فكاد يجنّ، وجعل يمشي في المدينة كالذاهل السكران، لا يدري ما يفعل، ولا كيف يفسر هذه الأمور العجيبة.

ثم أمضه الجوع، وتذكّر أن رفاقه ينتظرونه بدورهم لشديد جوعهم، فارتأى أن يحل هذا الإشكال أولاً ويعالج همّه المشترك مع رفاقه، فبادر إلى خبّاز في السوق ليشتري منه خبزاً، ويسارع في الخروج من البلدة وقد شكّ في أنها بلدة أخرى غير بلدته، وناوله واحدة من العملة

التي معه ليأخذ منها الرجل ثمن الخبز، فلما تناولها الخباز نظر إليها باستغراب، ثم قلبها على وجهها، وجعل يتأمل ضربها ونقشها وثقلها، فإذا هي جديدة عليه ومستغربة عنده، فتوجه إلى جارٍ له ودفعها اليه ليرى فيها رأيه، ودفعها الثاني إلى الثالث، والثالث إلى رابع، وهكذا حتى اجتمع رهط من القوم وهم ينظرون إلى الدرهم باستغراب، ويتداولون الرأي بشأنه متعجبين منه، ثم جعلوا يتسارّون بينهم أن هذا الرجل قد أصاب كنزاً خبيئاً في الأرض منذ دهر طويل، ولا بد أن وراء هذا الدينار الذهبي الثقيل دنانير أخرى غيره كثيرة. فلما رأى تمليخا أنهم يتسارّون في ما بينهم، فزع فزعاً شديداً حتى أخذته الرعدة، وهو يظن أنهم قد عرفوه ويريدون أن يذهبوا به إلى دقيانوس.

ثم إنهم أقبلوا يلحفون عليه بالسؤال ويقولون: (من أنت يا فتى وما شأنك؟ أين هو الكنز الذي اكتشفته؟ هلم شاركنا فيه نُخفي عليك ما وجدت، وإلا أتينا بك إلى السلطان وسلمناك إليه فينتزع منك الكنز كله) فتلجلج في الكلام وهو لا يحر جواباً، واحتار في ما يقول، وجعل يخاطب نفسه قائلاً: قد وقعت في كل ما كنت أحذر منه، حتى أخذه القوم إلى ملكهم بعد أن طووا عنقه بكسائه، وقادوه في السكك كأنه ذو وزر عظيم، حتى اجتمع عليه خلق كثير.

ورأى تمليخا أن لا فائدة ترجى من الكلام والدفاع، لأنهم لا يصدقون كلامه، وانتظر ظهور أبيه أو أحد إخوته لينقذوه ويعرّفهم به، إلى أن انتهى به القوم إلى رئيسين لهم يدعيان (أبوس) و(أسلطيوس)، وكانا صالحين، فقال له أحدهما: (إن هذا الدرهم الذي أظهرته يشهد

بأنك وجدت كنزاً فأين هو؟، فقال تمليخا ما وجدت كنزاً ولا وقعت على غير مالي، وإنما هذا الدرهم من ثمن أرض لي بعتها منذ ثلاث، ونقشه نقش هذه المدينة، وهو مما استعمله أبي وأبوه، ولكني والله ما أدري ما شأني وماذا أقول لكم، فإني فارقت هذه المدينة أمس بالذات، ومع ذلك فإني عندما عدت، رأيت أشياء كثيرة مختلفة، ووجوهاً علي جديدة، ولهجات متباينة، وإني لأتعجب كيف يمكن أن يحدث هذا كله في يوم واحد أو يومين، حتى إني شككت في أنني قد ضللت الطريق، وأن هذه المدينة ليست مدينتي، ولكنني حينما سألت عنها قيل لي أنها هي نفسها)، فقال له الرئيس: (فهل تعرف فيها أحداً)، قال تمليخا: (عجباً)، ألا بل قل هل فيها أحد لا يعرفني؟ إنني أنا الوزير الأول في مدينتكم هذه، وإذا لم تكونوا تصدقون، فأسألوا أي شخص خبير في بلاد ملك دقيانوس من هو وزيره الأول !!)، فنظر القوم بعضهم إلى بعض استغراباً وتعجباً وشكاً، وقال له بعض الملمين بالتاريخ من الحاضرين: (من دقيانوس ومن وزراؤه؟ إن دقيانوس كان ملكاً على هذه البلاد منذ أكثر من ثلاث مئة سنة، فإن كنت تظن أنك تأفكنا وتخدعنا وتصرفنا بهذه الكلمات عن الإهتمام بالكنز، فقد أخطأت) وردّ أخر يسأل: (أفما لك هنا أهل أو أقرباء أو أصدقاء من المعارف؟) فقال: (بلى)، إن أبي فلان، وإخوتي فلان وفلان وفلان)، وعدّد لهم أيضاً بعض الأصدقاء والمعارف، فخرجوا يطلبون من سمّاهم، فما وجدوا أحداً منهم.

أخيراً خرج تمليخا بنفسه أمامهم يدلهم على بيته وبيت أبيه

وإخوته، حتى انتهى بهم إلى دار رفيعة من أحسن دور البلد، فوقف أمامهم وقال (هذه داري)، فقرعوا باب الدار، فخرج إليهم شيخ هرم قد نزل حاجباه إلى عينيه من الكبر، فسألهم عما جاء بهم، فقال رئيس القوم: (إن هذا الرجل يقول عجباً عجبا، إذ يزعم أن هذه الدار داره)، فتوجه الشيخ إلى تمليخا وسأله عن اسمه ونسبه: فقال (أنا تمليخا بن قسطكين، وما أحد من الناس بمصدقي، وقد كنا فتية أكرهنا الملك دقيانوس على عبادة الأوثان والذبح للطواغيت، ثم أمرنا بعبادته هو، فهربنا منه عشية أمس إلى كهف في جبل (ينجلوس) فنمنا فيه البارحة، ولما انتبهنا اليوم خرجت لأشتري طعاماً لأصحابي وأتجسس الأخبار، فإذا أنا كما ترون)، فلما انتهى كلامه إلى ذلك، إنكبّ الشيخ صاحب الدار على قدميه يقبلهما وهو يقول: (إنه والله عم أجدادي ورأس عشيرتي)، ثم توجه إلى رئيس القوم يقول لهم ولمرافقيهما: (إن هذا هو أحد الستة الذين فروا هرباً من الملك دقيانوس في عهد الكفر والطغيان واختفوا عن الأنظار، ولا بد أن الله تعالى قد حفظهم، وأنه بعثهم اليوم لحكمة لا يعلمها غيره).

ثم أتى الجميع بتمليخا إلى ملكهم الذي كان صالحاً مؤمناً على دين المسيح عليه السلام، فلما وقف على حال تمليخا، وتأكد أنه آية من آيات الله ومعجزة حققها جل جلاله به وبرفاقه، هبط عن عرشه إجلالاً له، ثم حمله على عاتقه زيادة في التكريم والتعظيم، وجعل القوم يقبلون يديه ورجليه ويتبركون به، وأخبروه أن دقيانوس مات منذ عهد طويل جداً، وأن دولته قد زالت وعهد الكفر قد ولّى، وأنهم على دين

عيسى عليه السلام مؤمنون موحدون بالكتاب مصدقون، وحسبوا الزمن الذي مضى منذ فرار تمليخا وزملائه في عهد دقيانوس حتى عهد عودته إليهم، فإذا هو ثلاث مئة سنة شمسية أو ثلاث مئة وتسع سنوات قمرية، وفي هذا قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾ [الكهف: 25].

ثم إن الملك سأله عن أصحابه، وطلب إليه أن يدله عليهم، حتى يأتي بهم إلى المدينة ليكرمهم ويوليهم ما هم جديرون به من التعظيم والإجلال، بسبب إيمانهم والكرامة التي خصّهم الله بها، فقال تمليخا: (إنهم في كهف بجبل ينجلوس، فانطلقوا معي أريكموهم). وتقدمهم يتبعهم الملك ووزراؤه وقادته، وجنود كثيرون، ورهط كبير من الناس، حتى وصل بهم إلى الكهف، وعندئذٍ استوقفهم وطلب إليهم أن لا يدخلوا على رفاقه حتى يراهم هو أولاً ويخبرهم بما علم وتحقق منه من نومهم وقدم عهدهم، وبمجيء الملك وحاشيته لاسترجاعهم وتكريمهم، لكي لا يفاجأوا بمشهد الجنود والناس، ويظنوا أن القادمين جنود دقيانوس، فقد يقتلهم الخوف الشديد المداهم، فثنّى الملك على كلامه وأستحسنه، وأمره أن يتقدمهم.

وكان رفاق تمليخا قد غلب عليهم الخوف لتأخره عليهم، ورجّحوا ان يكون قد افتضح أمره واعتقله دقيانوس وجنوده، وكانوا مترددين بين أن يبقوا في كهفهم ثقةً بأن تمليخا لن يدل القوم عليهم مهما فعلوا به، وبين ان يفروا من الكهف إلى ملجأ آخر، خوفاً من أن يضعف تمليخا تحت التعذيب ويضطر إلى إرشاد القوم إليهم. . فلما دخل عليهم بعد

طول انتطار، وكان الجوع الشديد قد غلب عليهم، قفزوا إليه بين متلهف مضطرب خائف، وبين لائم عاتب على تأخره، وهم يسألونه: (هل رآك أحد من المعارف والأهل؟أو عرفك أحد من جند دقيانوس؟)، فقال لهم تمليخا وهو يبكي بحرارة وألم: (دعوني منكم ومن دقيانوسكم، وأخبروني كم لبثتم في كهفكم هذا؟)، قالوا: (لبثنا يوماً، أو بعض يوم»، قال: (بل لبثتم ثلاث مئة وتسع سنين، وقد هلك دقيانوس وملوك عديدون أمم كثيرة بعده، ونحن إنما كنا نياماً بقدرة الله تعالى ولحكمة منه)، ثم قصّ عليهم كل ما جرى له، منذ أن غادرهم حتى لقي الملك الجديد، وما ذكروه له من غلبة شريعة المسيح عليه السلام في مدينتهم وإيمان القوم جميعاً بدينه، وأنهم في الخارج ينتظرون إشارة منه للدخول عليهم وإرجاعهم إلى المدينة، فعلموا عند ذلك أن هذا الأمر كان آية من الله تعالى، . ليكون عبرة للناس ومثالاً للبعث يوم القيامة ولعودة الناس من الموت إلى الحياة مرة ثانية، ودليلاً على مقدرته جل جلاله.

وفكّر بعضهم في صعوبة العيش بعد ثلاثة قرون مع أجيال يختلفون عن جيلهم في عاداتهم وتفكيرهم وأخلاقهم، وتخوف بعضهم الآخر أن تفتنهم الدنيا بعد عودتهم إليها، فيموتوا على غير ما يرضى الله، بعد أن وثقوا أن الله تعالى اختارهم هم لوقوع هذه الآية العظمى من آياته عليهم، فاقترح البعض أن لا يقابلوا القوم، بل أن يدعوا الله تعالى أن يقبض أرواحهم وأن يعيدهم إلى الموت من ساعتهم تلك، فأجمعوا رأيهم على هذا وفعلوه، واستجاب الله تعالى دعاءهم، وسقطوا على الأرض فجأة موتى كما كانوا.

ثم إن الملك وحاشيته لما طال انتظارهم، نفذ صبرهم، وقرروا الدخول إلى الكهف، ولكنهم لما وصلوا إلى الباب ونظروا إلى الداخل، لم يتبينوا الوجوه والأشخاص بصورة واضحة، لأن الظلمة كانت تحيط بالقوم وتعم جنبات الكهف، إلا أنهم لمحوا من خلال الظلمة عيوناً مفتّحة محدقة وكأنها تنظر إلى شيئ معين، بينما أصحابها موتى لا يتحركون، وهم بين جالس أو ممدود كالخشبة الصلدة الجامدة.

فلما رأى رجال الملك هذا المنظر ملئوا رعباً وولّوا منهم فراراً، ولم يجرؤ آخرون غيرهم على التقدم نحو موتى الكهف، واحتار الملك ووزراؤه ومستشاروه في ما يقدمون عليه، وتنازعوا الرأي بينهم في ما يجب عمله، فقال البعض: (فلنبن عليهم بنياناً يبقيهم في وحدتهم التي اختارها الله لهم، ويمنع وصول الفضوليين والأشرار إليهم)، وقال آخرون من المؤمنين: (بل نبني عليهم مسجداً للصلاة والعبادة، لأنهم قوم أخيار أحبهم الله تعالى وجعلهم أهلاً للإكرام والتقدير).

ثم إن الملك ورهطه بعد أن أقاموا البنيان على كهف القوم، عادوا إلى مدينتهم وهم يتساءلون عن عدد أصحاب الكهف، لأنهم لم يستطيعوا بسبب الظلام أن يتبينوا عددهم، فالبعض كانوا يقولون: هم ثلاثة فقط والكلب رابعهم، والبعض قالوا: هم خمسة سادسهم الكلب، وقال آخرون: بل هم سبعة وثامنهم كلبهم، وفي ذلك يقول الباري جلّ جلاله في كتابه العزيز: (**وكذلك أعثرنا عليهم**) ليعتبر الناس بهم، (**وليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها، إذ يتنازعون**

**بينهم أمرهم فقالوا ابنوا عليهم بنياناً، ربهم أعلم بهم، قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً، سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب، ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم، قل ربي أعلم بعدتهم)** صدق الله العظيم، وسبحانه ما أوفر عبره وما أكثر آياته ! وما أكثر نسيان الإنسان وما أقل اعتباره!!.

أما عن أخبار هذه الحادثة عند غير المسلمين، فقد ناقشها العلامة الطباطبائي في تفسيره حيث قال: القصة عند غير المسلمين: معظم أهل الرواية والتاريخ على أن القصة وقعت في الفترة بين النبي ﷺ وبين المسيح عليه السلام ولذلك لم يرد ذكرها في كتب العهدين ولم يعتن بها اليهود وإن اشتملت عدة من الروايات على أن قريشاً تلقت القصة من اليهود، وإنما اهتم بها النصارى واعتنوا بها قديماً وحديثاً، وما نقل عنهم في القصة قريب مما أورده ابن إسحاق في العرائس عن ابن عباس غير أن رواياتهم تختلف عن روايات المسلمين في أمور. أحدها أن المصادر السريانية تذكر عدد أصحاب الكهف ثمانية في حين يذكره المسلمون وكذا المصادر اليونانية والغربية سبعة.

ثانيها: أن قصتهم خالية من ذكر كلب أصحاب الكهف.

وثالثها: أنهم ذكروا أن مدة لبث أصحاب الكهف فيه مائتا سنة أو أقل والمسلمون يذكر معظمهم أنه ثلاثمائة وتسع سنين على ما هو ظاهر في القرآن الكريم والسبب في تحديدهم ذلك أنهم ذكروا أن الطاغية الذي كان يجبر الناس على عبادة الأصنام وقد هرب منه الفتية هو دقيوس الملك 449-451 وقد استيقظ أهل الكهف على ما ذكروا سنة

425 م أو سنة 437 م أو 439 م فلا يبقى للبثهم إلا مائتا سنة أو أقل وأول من ذكره من مؤرخيهم على ما يذكر هو (جيمس) الساروغي السرياني الذي ولد سنة 451 م ومات سنة 521 م ثم أخذ عنه الأخرون.

**مكان الكهف:**

أمّا عن مكان حصول هذه الحادثة، فيقول الطباطبائي:

عثر في مختلف بقاع الأرض على عدة من الكهوف والغيران وعلى جدرانها تماثيل رجال ثلاثة أو خمسة أو سبعة ومعهم كلب وفي أيديهم قربان يقربونه، ويتمثل عند الإنسان المطلع عليها قصص أصحاب الكهف ويقرب من الظن أن هذه النقوش والتماثيل إشارة إلى قصة الفتية وأنها انتشرت وذاعت بعد وقوعها في الأقطار فأخذت ذكرى يتذكر بها الرهبان والمتجردون للعبادة في هذه الكهوف.

وأما الكهف الذي التجأ إليه واستخفى فيه أهل الكهف فجرى عليهم ما جرى فالناس فيه في اختلاف وقد ادعي ذلك في عدة مواضع:

**أحدهما**: كهف إفسوس، وإفسوس هذه مدينة خربة أثرية واقعة في تركيا على مسافة 73 كيلو متراً من بلدة إزمير، والكهف على مسافة كيلو متر واحد أو أقل من إفسوس بقرب قرية (أياصولوك) بسفح جبل (ينايرداغ).

وهو كهف وسيع فيه - على ما يقال - مئات من القبور مبنية من

الطوب وهو في سفح الجبل وبابه متجه نحو الجهة الشمالية الشرقية وليس عنده أثر من مسجد أو صومعة أو كنيسة، وهذا الكهف هو الأعرف عند النصارى، وقد ورد ذكره في عدد من روايات المسلمين.

وهذا الكهف على الرغم من شهرته البالغة- لا ينطبق عليه ما ورد في الكتاب العزيز من المشخصات.

**الكهف الثاني**: كهف رجيب وهذا الكهف واقع على مسافة ثمانية كيلو مترات من مدينة عمان عاصمة الأردن بالقرب من قرية تسمى رجيب والكهف في جبل محفوراً على الصخرة في السفح الجنوبي منه، وأطرافه من الجانبين الشرقي والغربي مفتوحة يقع عليه شعاع الشمس منها، وباب الكهف يقابل جهة الجنوب وفي داخل الكهف صفة صغيرة تقرب من ثلاث أمتار في مترين ونصف على جانب من سطح الكهف المعادل لثلاثة في ثلاثة تقريباً وفي الغار عدة قبور على هيئة النواويس البيزنطية كأنها ثمانية أو سبعة.

وعلى الجدران نقوش وخطوط باليوناني القديم والثمودي منمحية لا تقرأ وأيضاً صورة كلب مصبوغة بالحمرة وزخارف وتزويقات أخرى.

وفوق الغار آثار صومعة بيزنطية تدل النقود والآثار الأخرى المكتشفة فيها على لأنها مبنية في زمان الملك جوستينوس الأول 418-427 وآثار أخرى على أن الصومعة بدلت ثانياً بعد استيلاء المسلمين على الأرض مسجداً إسلامياً مشتملاً على المحراب والمئذنة والميضأة، وفي الساحة المقابلة لباب الكهف آثار مسجد آخر بناه

المسلمون في صدر الإسلام ثم عمروها وشيدوها مرة بعد مرة، وهو مبني على أنقاض كنيسة بيزنطية كما أن المسجد الذي فوق الكهف كذلك.

وكان هذا الكهف - على الرغم من اهتمام الناس بشأنه وعنايتهم بأمره كما تكشف عنه الآثار - متروكاً منسياً وبمرور الزمان خربة وردماً متهدماً حتى اهتمت دائرة الآثار الأردنية أخيراً بالحفر والتنقيب فيه، فاكتشفته فظهر ثانياً بعد خفائه قروناً وقامت عدة من الأمارات والشواهد الأثرية على أنه هو كهف أصحاب الكهف المذكورين في القرآن.

وقد ورد أن كهف أصحاب الكهف بعمان في بعض روايات المسلمين كما أشرنا إليه في ما تقدم ذكره ياقوت في معجم البلدان وأن الرقيم اسم قرية بالقرب من عمان كان فيها قصر ليزيد بن عبد الملك وقصر آخر في قرية أخرى قريبة منها تسمى الموقر وإليهما يشير الشاعر بقوله:

**يزرن على تنانبه يزيداً بأكناف الموقر والرقيم**

وبلدة عمان أيضاً مبنية في موضع مدينة (فيلاديلفيا) التي كانت من أشهر مدن عصرها وأجملها قبل ظهورة الدعوة الإسلامة وكانت هي وما والاها تحت استيلاء الروم منذ أوائل القرن الثاني الميلادي حتى فتح المسلمون الأرض المقدسة.

والحق أن مشخصات كهف أهل الكهف أوضح انطباقاً على هذا الكهف من غيره.

**والكهف الثالث**: كهف بجبل قاسيون بالقرب من الصالحية بدمشق الشامية ينسب إلى أصحاب الكهف.

**والكهف الرابع**: كهف بالبتراء من بلاد فلسطين ينسبونه إلى أصحاب الكهف.

**والكهف الخامس**: كهف اكتشف - على ما قيل - في شبه جزيرة اسكاندنافية من الأوربا الشمالية عثروا فيه على سبع جثث غير بالية على هيئة الرومانيين يظن أنهم الفتية أصحاب الكهف.

وربما يذكر بعض كهوف أخر منسوب إلى أصحاب الكهف كما يذكر أن بالقرب من بلدة نخجوان من بلاد قفقاز كهفاً يعتقد أهل تلك النواحي أنه كهف أصحاب الكهف وكان الناس يقصدونه ويزورونه.

ولا شاهد يشهد على شيئاً من هذه الكهوف هو الكهف المذكور في القرآن الكريم. على أن المصادر التاريخية تكذب الآخرين إذ القصة على أي حال قصة رومانية، وسلطتهم حتى في أيام مجدهم وسؤددهم لم تبلغ هذه النواحي، نواحي أوروبة الشمالية.

ومما يتقدم، يظهر بأن العلامة الطباطبائي يذهب باتجاه تبنّي مكان الكهف في الأردن شمال فلسطين بحسب سياق مناقشته للموضوع.

وخير ما نختم به بحثنا، قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيۡكَ مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ﴾ [هود: 100]، بالإضافة إلى ما ينسب إلى تمليخا أحد أصحاب الكهف وذلك بعد استيقاظهم من رقدتهم الطويلة، ومعاينتهم للناس والعالم من حولهم بالقول: **(مات كل الأصدقاء والأعداء، ذهبوا بسهولة وبساطة، ببساطة رقدة واحدة، كم**

**تمضي بسرعة عربة الزمن، كل ذلك التشويش والإضطراب، والحب والبغضاء، والصداقة والعداوة، والتعذيب والسجون، كل أولئك الجند والقصور، وكل تلك الألهة!! يا لها من سخرية، لقد رضخ الجميع، كل ما أراه هو الإستسلام، فقد قهرت قدرة واحدة الجميع وكل شيئ. لا أحد يملك القدرة على المخالفة والمقارعة، وإن أمعنّا النظر على مدى الزمان، لوجدنا أن كل أولئك الذين دقوا طبول الحرب مع الله، واعتبر كل واحد منهم نفسه إلهاً تفتتح الخطب بإسمهم، ما هم إلا مهرجون عابثون، يدورون من حيث لا يشعرون حول محور إرادة الله رغم كل مخالفتهم).**

**وجاء في مناجاته لربّه: (إلهي أنّى للصقور التي حلّقت في سماء حبك أن تتخذ من الأرض منزلاً ومقراً لها، فلقد وقفنا في وجه الآلهة المزيفة للوصول إليك، ولو كنّا توّاقين للدنيا فإنها كانت مقبلة علينا منذ البداية وتركناها لأجلك).**

وتذكرنا هذه المناجاة بمناجاة الإمام الحسين عليه السلام يوم عاشوراء في كربلاء، حيث قال:

**إلهي تركت الخلق طراً في هواك وأيتمت العيال لكي أراك**
**الهي لو قطعني السيف إرباً لما مال الفؤاد إلى سواك**

وآخر دعوانا ان الحمد لله ربّ العالمين

صورة عن الكهف وتبدو أشعة الشمس داخله

صورة عن كيفية شكل الغار وتميزه عن الكهف

صورة لمدخل غار حراء الذي كان النبي (ص) يتعبد الله فيه وهو في جبل النور في مكة المكرمة

صورة عن شكل الكهف بشكل عام حيث أنه يبدو واسعاً بخلاف الغار

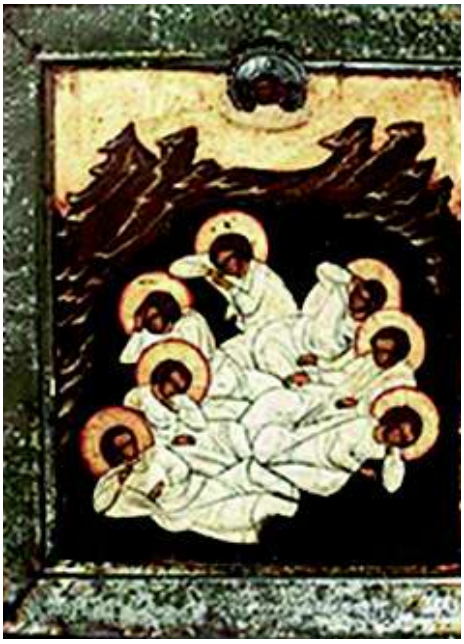

صورة فنية قديمة جداً ترمز
إلى رقدة أصحاب الكهف

صورة فنية ترمز إلى ديقيانوس وهو يأمر
باغلاق الكهف على أصحابه بعدما وجدهم

صورة فنية ترمز إلى أصحاب الكهف ويبدو الكلب جالساً عند عتبة الباب

صورة لكهف إفسوس قرب آزمير في تركيا

صورة خارجية للكهف في منطقة رجيب في عمان الأردن من الخارج

صورة قديمة عن العملة التي وجدت داخل أحد الكهوف المنسوبة إلى أهل الكهف

صورة لعملة وهيكل عظمي ينسب إلى كلب أصحاب الكهف بالإضافة إلى عدد من الجماجم ونحن لا نعتقد بصحة ذلك

# أصحاب الأخدود

## قوافل الشهداء وأعراس التضحية

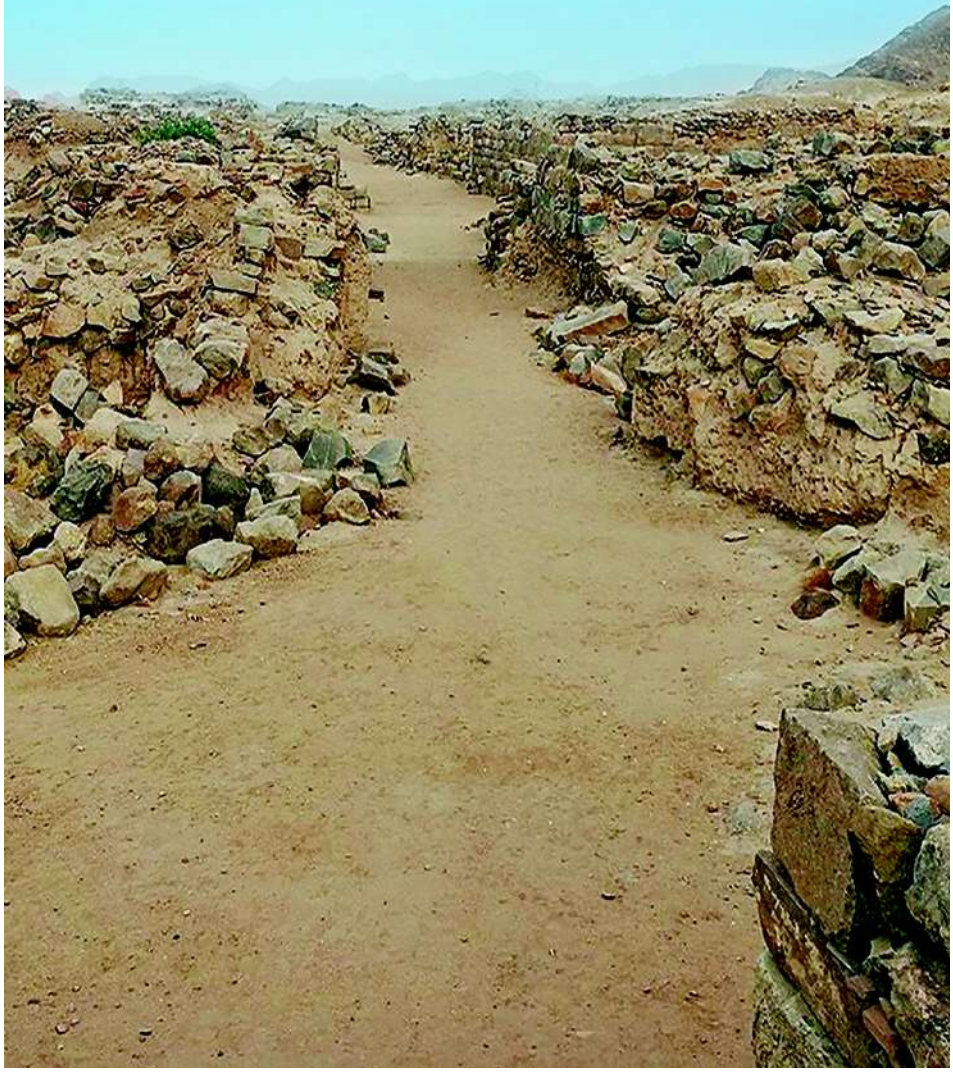

# أصحاب الأخدود

## قوافل الشهداء وأعراس التضحية

يقول تعالى في محكم كتابه: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾ [البروج: 4-9].

التراث الإنساني بشكل عام حافل بالعديد من المواقف البطولية والمشرّفة للعديد من الشخصيات التي خلّدها التاريخ. وغالباً ما كانت هذه المواقف منطلقة من جملة مبادئ لها ارتباط بالحس المادي، وإن كان في بعضها ما له إرتباط بالغيب، بغض النظر عن صحة هذا الإرتباط من عدمه.

وبعبارة أخرى، فإن هنالك العديد من المواقف المشرّفة والتي بذل فيها أصحابها الغالي والنفيس من أجل بعض الأمور، والتي ترتبط بشكل من الأشكال بالأشياء المادية، أو المادية المعنوية، بشكل مباشر. وعلى سبيل المثال: كم من موقف خلّده التاريخ لبعض الجماعات الذين بذلوا مهجهم دون أرضهم أو أموالهم أو أي شيء من هذا القبيل، وهذا ما يطلق عليه مصطلح (المادي).

أمّا الأمور والمسائل التي نستطيع إطلاق مصطلح (المادي

المعنوي) عليها فهي من قبيل، الدفاع عن الأعراض، أو الكرامات، أو الحرية وما شابه ذلك.

وهذه الأموربشقّيها ليس بالضرورة أن يكون للدين بشكل عام، أي دخل بها. وإنّما هي تحركات ومواقف فرضتها ظروف وطبيعة الإجتماع البشري على اختلاف مراحل التطور التي تدرجت به المجتمعات الإنسانية عبر التاريخ، وأما تلك الأمور التي فيها ارتباط بالغيب أو الميتافيزيقيا، فأيضاً التاريخ يحدثنا عن العديد منها. مثال ذلك: المعتقدات العقائدية أو الأنطولوجيا، كمسألة وجود الإنسان والآلهة المتعددة، ومسألة الحياة الأخرى بعد الموت، أو حتى تفسير ماهية الموت وما شابه ذلك. والأمثلة على كل ما تقدم ذكره كثيرة جداً، بحيث يحتاج الإنسان فقط إلى وقت قليل للإطلاع عليها وخاصة مع وجود الوسائط المعرفية الجديدة كالإنترنت وما شاكل ذلك. فبمُدّة قصيرة نسبياً يستطيع المرء ان يتعرف إلى مجموعة كبيرة من الشخصيات التاريخية والتي أضحت اسماؤها مشهورة وخاصة في البطولة والفداء عن الأرض او العرض أو حتى المعتقد مهما كان نوعه.

إلا أن الملاحظ في هذا الأمر، والذي يشكل مفارقة جوهرية يجب التوقف عندها، والإلتفات إليها، هي أن هذا التراث أصبح شبه مندثر، ودخلت عليه الأساطير والخرافات، بحيث جعلت منه مادة غير موثوقة، وغير علمية، لا يمكن الركون إليها أو الإعتماد عليها في وقتنا الراهن. في حين نجد أن نفس هذا التراث الإنساني حفظ وما يزال يحفظ تلك المواقف العظيمة والمشرّفة وبشكل موثّق وعلمي لأسماء

بعض الشخصيات أو الجماعات التي كان لها ارتباط بالرسالات السماوية بشكل عام ودون استثناء. وهذا الأمر إن دلّ على شيء، فإنه يدل على أن من يرتبط عمله، أو موقفه، أو تضحيته، بالذات الإلهية، الأزلية والسرمدية، فإن هذه الذات المقدّسة تمنحه وتفيض عليه بعضاً من خصوصيتها، لجهة رفع الإسم، وبقاء الذكر، على امتداد مساحة الزمان والمكان، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها.

ومن هؤلاء الذين شرّفهم الله سبحانه وتعالى ببقاء ذكرهم نتيجة لتضحياتهم المباركة، أصحاب الأخدود.

**فمن هم أصحاب الأخدود وما هي قصّتهم؟**

في البداية لا بدّ من توضيح معنى الأخدود في اللغة العربية بحسب ما قاله أهل الإختصاص، فالأخدود هو: الشق العظيم في الأرض، يحفر مستطيلاً، وجمعه الأخاديد ومصدره الخد وهو الشق.

وبتعبيرنا المعاصر هو: الخندق الكبير الذي يحفر بشكل مستطيل.

أمّا أصحاب الأخدود، فالمفسرون على قولين، **الأول**: هم الجبابرة الطغاة الذين خدوا أخدوداً وأضرموا فيها النار وأمروا المؤمنين بدخولها فأحرقوهم عن آخرهم نقماً منهم لإيمانهم. وهذا القول يذهب باتجاه عاقبة الأمور أي المجرمين هم من سينالهم الحرق والعذاب في الأخرة. **الثاني**: المراد بأصحاب الأخدود هم المقتولين من المؤمنين بحسب السياق والتعبير القرآني، وهذا القول هو المشهور بين المفسرين.

**وعلى كل حال فإن قصتهم جرت على الشكل التالي:**

في زمن ذو النواس، وهو آخر ملوك (حِميَر) إحدى قبائل اليمن القديمة والمعروفة في أرض اليمن، أقدم هذا الملك على اعتناق اليهودية كدين، وتبعته قبيلته حِميَر على ذلك، وبقي على هذا الأمر فترة من الزمن وتسمى بإسم يوسف.

ولاحقاً، أخُبر أن في ضواحي منطقة نجران (شمال اليمن) بقايا قوم على دين النصرانية، أي على دين عيسى عليه السلام وحكم الإنجيل، ولم يتهودوا كما فعل الملك وقبيلته. فعزم على إدخالهم في دينه وتهويدهم، وسار إليهم حتى وصل إلى نجران، فجمع من كان بها على دين النصرانية، ثم عرض عليهم دين اليهودية والدخول فيها، فأبوا عليه ورفضوا ذلك، فجادلهم وتوعّدهم بالقتل، فلم يعبأوا به وبتهديده، فاتخذ لهم أخدوداً وجمع فيه الحطب الكثير، وأشعل فيه النار، وأخذ يلقي بهم في هذا الأخدود واحداً تلو الآخر، ومنهم من قتله بالسيف ثم رماه في النار أيضاً. فبلغ عدد من قتل وأحرق بالنار عشرين ألفاً بحسب الروايات.

ويقال: أن رجلاً يدعى (دوش ذو ثعلبان) وكان من نصارى نجران تمكن من الفرار، وذهب إلى قيصر الروم وشكا إليه ما فعله ذو النواس، فقال له القيصر: إن أرضكم بعيدة، ولكني سأكتب كتاباً إلى ملك الحبشة، ثم كتب رسالته إلى ملك الحبشة وطلب اليه الإنتقام لدماء المسيحيين التي أريقت في نجران، فلما قرأ ملك الحبشة الرسالة

تأثر جداً، وعقد العزم على الإنتقام لدماء الشهداء. فأرسل جيشه إلى اليمن والتقت بجيش ذو النواس، فهزمته بعد معركة طاحنة بين الجيشين، وأصبحت اليمن ولاية من ولايات الحبشة. وذكر المفسرون مشهداً مؤثراً أثناء عملية إلقاء المؤمنين في النار، حيث قالوا: وصل الدور للإلقاء في النار على إمرأة وبيدها صبي صغير عمره لا يتعدى الشهرين، فلّما رأت هول النار هابت ذلك ورقّت على ابنها، فناداها الصبي: لا تهابي وارميني ونفسك في النار، فإن هذا والله في الله قليل، فرمت بنفسها في النار ووليدها، وكان ممن تكلم في المهد بشكل معجزة كرامة لهؤلاء الشهداء.

وهنالك أيضاً عدة روايات حول أصحاب الأخدود، إلا أن الرواية المتقدمة هي المعتمدة عند معظم المفسرين.

وتخليداً لذكراهم، ورفعاً لشأنهم، ذكرهم المولى سبحانه وتعالى في محكم كتابه في سورة البروج، لأنهم آمنوا بالله وبدعوة السيد المسيح عليه السلام.

كما أن سرد هذه الواقعة في القرآن الكريم، جاء على سبيل التسلية لفؤاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتثبيتاً له لما كان يلاقيه والمؤمنون معه من أذى واضطهاد من قريش وعتاتها. كما ذكر ذلك المفسرون حول أسباب النزول.

فما أشبه الأمس البعيد بالأمس القريب، أو كما يقول المولى عزّ وجلّ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: 140].

فإن هذا النوع من الظلم والإضطهاد والجور حصل لاحقاً في التراث الإسلامي، أي بعد بعثة النبي الأعظم ﷺ. وتكرر حصوله في العديد من المحطات التاريخية الإسلامية لا سيّما في الحقبة العباسية أو الدولة العباسية، مع ما ترافق ذلك من أحداث ومصائب حاقت بذرية العترة النبوية الشريفة على وجه الخصوص. ومنها فقط على سبيل المثال لا الحصر، ما ذكره معظم المؤرخين كالطبري، وابن الأثير، ومحسن الأمين، وغيرهم الكثير من كافة المذاهب الإسلامية، وذلك عند حديثهم عن أحداث عام 125 للهجرة، فيقولون: لما كان زمن مروان بن محمد أخر ملوك بني أمية، اجتمع بنو هاشم بالمدينة وبايعوا محمداً بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن المجتبى بن علي بن أبي طالب (رض).

وكان من جملة من بايع محمد (السفاح والمنصور)، في حين أن الإمام جعفر بن محمد الصادق لم يبايعه، فسأله عبد الله بن الحسن المثنى عن سبب ذلك، فأجابه الإمام الصادق (رض): أن الخلافة تصير إلى السفاح وإخوته وأبنائهم، وأخبره أن محمداً وإبراهيم سيقتلان، وأن صاحب الرداء الأصفر وهو المنصور يقتل محمداً، فلما وصل الأمر إلى المنصور بعد أخيه السفاح كان كثيراً ما يخشى محمداً وإبراهيم إبني عبدالله بن الحسن المثنى لأنه كان قد بايعه في المدينة قبل أخيه السفاح.

وفي أثناء حجه لمكة، قصد أبو جعفر المنصور دار عبد الله المحض بن الحسن المثنى وسأله عن ولده محمد، فأجابه عبد الله

بالقول: لا أدري، فقال له المنصور: لتأتين به، فقال عبد الله: لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه. فغضب المنصور وحبسه بالمدينة سنتين، وجعل على المدينة والياً يقال له رياح، وأمره أن يقبض على بني الحسن ويحبسهم. ورياح هذا، كان عدواً ومبغضاً لأهل البيت (رض)، فحبس منهم، أي من أبناء الحسن، اثني عشر رجلاً غير عبد الله المحض وفيهم صبي صغير، وفيهم أيضاً رجل عابد اسمه علي بن الحسن جاء من تلقاء نفسه وطلب من رياح أن يحبسه معهم، وحبس معهم محمد بن عبد الله من ولد عثمان بن عبد الله المحض وكان أخاهم لأمهم وهي فاطمة بنت الحسين (رض) مع ولدين له.

ولما انتهى موسم الحج، أمر المنصور بحمل هؤلاء السجناء إلى العراق، فحملوا مكبلين مغلولين، فلما أخرجوا، وقف الإمام الصادق (رض) وراء ستر رقيق فلما نظر اليهم هملت عيناه حتى جرى دمعه على لحيته وقال: والله لا يحفظ لله حرمة بعد هؤلاء.

ثم إن المنصور حبسهم بالعراق في مكان يقال له قصر ابن هبيرة شرقي الكوفة، وكانوا لا يعرفون الليل من النهار، ولا يعرفون أوقات الصلاة إلا بأحزاب من القرآن يقرأها بعضهم، وكان إذا مات أحد منهم ترك في مكانه.

وعندما خرج محمد بن عبد الله المحض على المنصور الدوانيقي أمر الأخير بهدم الحبس على من فيه من السجناء.

وبالختام نقول: أليست هذه النفوس الطاهرة والمؤمنة قد خلّدها

الله سبحانه وتعالى رغم محاولات الطغاة والمتكبرين على مدى الزمان؟

أليس في هذا دليل على مكانة وكرامة هؤلاء المؤمنين الأبرياء عند الله سبحانه وتعالى وقد قلنا سابقاً في سياق البحث: أن من يرتبط عمله بالله فقد ارتبط بالسرمدي والأزلي فلا يزول ذكره في نص، أو نقل، رغم كيد الكائدين وحقد الحاقدين، فالله متمّ نوره ولو كره المشركون.

فالسلام على الشهداء أصحاب واقعة الأخدود، والسلام على الشهداء من آل بيت الرسول ﷺ.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مدخل مدينة نجران على الحدود شمال اليمن

لوحة تشير إلى منطقة الأخدود

بقايا كعبة نجران وهي أقدم كنيسة شيدت في الجزيرة العربية

صورة عامة لمنطقة
الأخدود الأثرية

صورة من داخل
مدينة نجران الأثرية

صورة تحاكي
شكل الأخدود

صورة فنية عن
كيفية إحراق المؤمنين

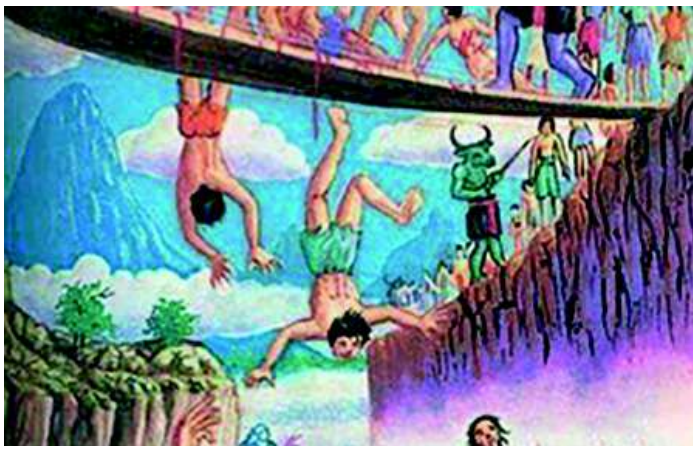

صورة فنية أخرى عن
كيفية إلقائهم في
الأخدود

صورة فنية عن كيفية قطع
رؤوس المؤمنين قبل
إلقائهم في الأخدود

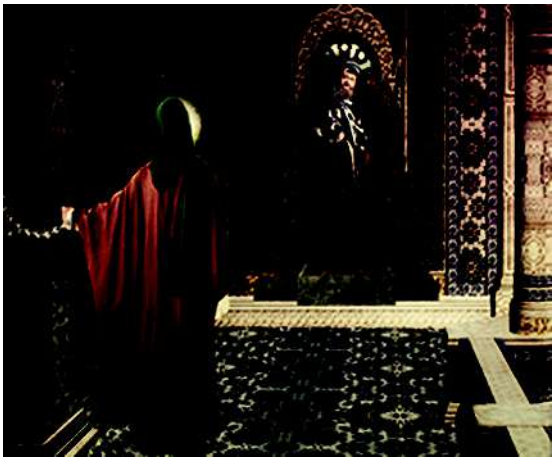

صورة فنية تعبر عن مشهد وقوف عبد الله بن الحسن المثنى بين يدي الرشيد

صورة فنية عن مشهد السجون القديمة والتي تعرف بالمطامير لكونها تحت الأرض

صورة تعبّر عن سجين من آل البيت داخل هذه المطامير

صورة فنية أخرى لأحد المساجين من آل البيت عليهم السلام أيام الرشيد

صورة فنية تحاكي مظلومية آل البيت عليهم السلام وهم في السجن داخل المطامير
ويبدو في هذه المشهدية الكهل والشاب والأطفال

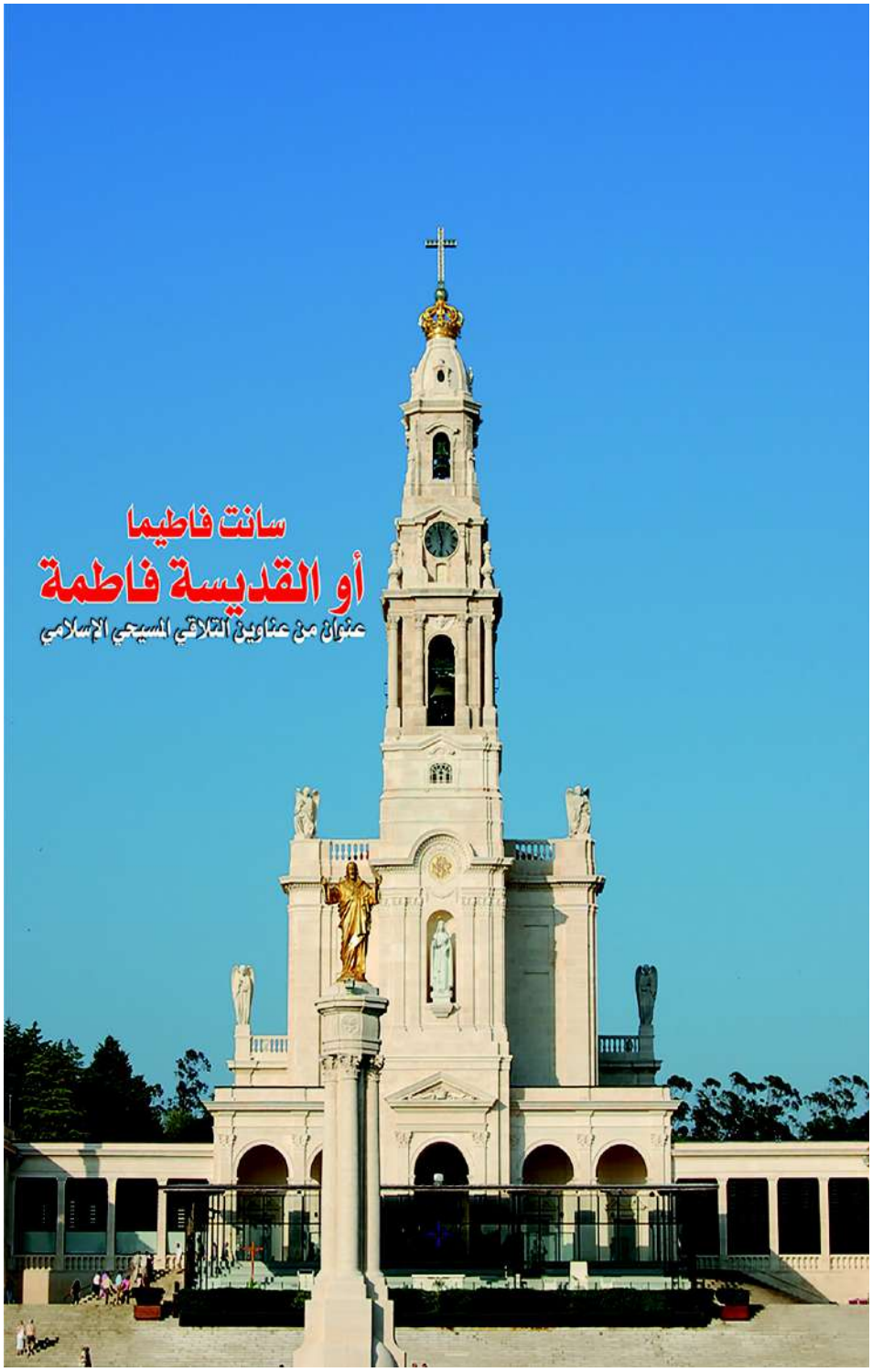
سانت فاطيما
أو القديسة فاطمة
عنوان من عناوين التلاقي المسيحي الإسلامي

# سانت فاطيما

## أو القديسة فاطمة

## عنوان من عناوين التلاقي المسيحي الإسلامي

قال تعالى: ﴿... وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المائدة: 82-83] صدق الله العظيم.

العلاقة بين المسيحية والإسلام في الجانبين الفكري والإنساني علاقة وثيقة تقوم على أساس المودة والإحترام المتبادلين. وهذا العمق بتبادل الإحترام والتقدير برز منذ بزوغ فجر الإسلام المحمدي ﷺ، وكانت طلائع بداياته من خلال هجرة المسلمين من مكة إلى الحبشة بزعامة جعفر بن أبي طالب (رض)، وذلك بعد إضطهاد قريش للمسلمين، آنذاك طلب النبي ﷺ من جماعة المسلمين التوجه إلى الحبشة حيث ذلك الملك النصراني الذي لا يظلم عنده أحداً، كما عبّر عن ذلك الرسول الأعظم ﷺ. وتبلورت بعدها بشكل أوضح من خلال زيارة وفد نجران من القساوسة والرهبان للنبي ﷺ وما جرى من أحداث خلال هذه الزيارة، كما أنها إتضحت بشكل جلي وأقوى من

خلال زواج النبي ﷺ بتلك السيدة الجليلة النصرانية مارية القبطية المعروفة بـــ أم إبراهيم، والتي أضحت من بعد هذا الزواج المبارك إحدى أمّهات المؤمنيين رضوان الله عليها.

والتاريخ الإسلامي حافل بالعديد من المواقف المشرقة في العلاقة المشتركة بين المسيحية والإسلام.

ولعل من أبرز هذه المواقف وهذه العلاقة القائمة على المودة والإحترام، زواج الإمام الحسن بن علي العسكري بالسيدة الجليلة مليكة أو نرجس النصرانية والذي أثمر هذا الزواج المبارك عن ولادة الإمام المهدي (عج)، الذي سيملأ الأرض قسطاً وعدلا بعدما ملئت ظلماً وجوراً، وهذا ما يعتقده جميع المسلمين.

وأيضاً، لا يعني ذلك أن التاريخ المشترك بين هاتين الديانتين لم تشبها شائبة، بل إن هنالك العديد من المحطات والفترات كانت حبلى بالخلافات والصراعات، والإقتتال نتيجة الأطماع السياسية، والخلافات الشخصية، والتي استعمل فيها الدين كمبرّر ومحرك للمشاعر. وبما أن الإنسان هو الإنسان ذاته بغض النظر عن الزمان الذي يعيشه، وبما أن الأطماع هي نفسها في كل زمان ومكان بغض النظر أيضاً عن التسميات والعناوين، سنجد في كل آن وحين هذه المواقف بشقّيها الإيجابي والسلبي حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

لذا من الواجب بالحد الأدنى على المسلمين والمسيحيين المثقفين نشر مفاهيم الود والإحترام والتلاقي من خلال التركيز على النقاط المشتركة والإيجابية بينهم.

ومن هذه النقاط المشتركة، والمواقف الإيجابية، مقام القدّيسة فاطيما في البرتغال.

فما هي قصة هذه القديسة؟ ولماذا حملت اسم فاطيما؟؟ وبعبارة أخرى: ما هو السّر من وراء ربط إسم هذا الصرح الديني المسيحي العامر والمقصود من أنحاء العالم بهذا الإسم الإسلامي المقدس الخاص بسيدة نساء العالمين عليها السلام؟؟

**المكان**: تقع مدينة فاطمة أو (فاتيما) في نطاق بلدية أوريم وعلى بعد 123 كلم تقريباً من العاصمة لشبونة في البرتغال، وفيها يقع دير وكنيسة ضخمة أنشئت عام 1928 م، ويبلغ ارتفاع البرج فيها حوالي 65م.

ويعتبر هذا المكان رمزاً دينياً مهماً وخاصة عند المسيحيين الكاثوليك الذين يتوافدون لزيارته على مدار العام في الثالث عشر من شهر أيار من كل عام لأسباب ستتّضح في سياق البحث.

وهذه المدينة ذات طابع قروي حيث تمتاز بوجود سلسلة جبال وهضاب من حولها تكسوها الأشجار والخضرة على مدار العام، ويمتاز مناخها بالطبيعة المتوسطية المعتدلة حيث تميل درجات الحرارة في الصيف إلى الإرتفاع وإلى برودة معتدلة في فصل الشتاء مع طقس جميل ومعتدل في فصلي الربيع والخريف. ولم تكن هذه المدينة أو «القرية» سابقاً تحظى بأي إهتمام نتيجة لبعدها عن مركز العاصمة من جهة، ولصغر مساحتها وقلة القاطنين بها من جهة أخرى، حيث تنقل معظم الروايات أن عدد قاطنيها لم يتجاوز الخمس والعشرين منزلاً

بالحد الأقصى. وذلك قبل العام 1917م أي قبل تلك الحادثة التي غيّرت وجه تلك القرية الصغيرة الوادعة والتي جعلت منها مدينة كبيرة تعتبر حالياً من أهم المدن البرتغالية، كما أنها تعد من أهم المدن المقصودة للسياحة الدينية وخصوصاً عند المسيحيين من جميع أصقاع العالم.

**الزمان**: شهدت البرتغال نقلة نوعية في العام 1910م وذلك بعد الإطاحة بالنظام الملكي واستبداله بالنظام الجمهوري المتأثر إلى حدٍ ما بأفكار الثورة البلشفية، وبقي هذا النظام الجديد غير مستقر نسبياً إلى أن استبدل بالنظام الديكتاتوري والذي عرف بديكتاتورية «استادو نوفو» بعد الحرب البرتغالية الإستعمارية، وفي أجواء هذا الإنتقال السياسي الجديد للبرتغال وتحديداً في 15 أيار 1917 م، حصلت في هذه البقعة الجغرافية والتي تعرف بفاطيما حادثة دينية تمثلت بظهور متكرر لسيدة جليلة في السماء على ثلاثة أطفال يرعون الأغنام، وهم: لوسيا دو سانتوس والتي كانت تبلغ من العمر 11 عاماً، وأولاد عمتها فرانشيسكو مارتو 9 سنوات، وشقيقته الصغرى جاسنتا مارتو 7 سنوات.

وقد طلبت هذه السيدة الجليلة من هؤلاء الأطفال ملاقاتها في نفس المكان والزمان من كل شهر حتى تخبرهم بما تريد منهم، وبالفعل وبحسب الروايات تجدد هذا الظهور والتجلي كل شهر ولمدة ستة أشهر متتالية، حدث في الأخير منها أمر سماوي مهول، أو ظاهرة فلكية غير عادية تمثلت باقتراب الشمس من الأرض أو العكس بحيث تبدو للناظر

إليها كأنها ستقع على الأرض، وقد وثقت هذه الظاهرة بتاريخ 13/ 10/ 1917 من قبل الجموع الغفيرة التي كانت محتشدة آنذاك ومن خلال الصحافة المحلية وخاصة جريدتي ديلي نيوز وجريدة أوسيكيول.

وفي خلال هذه الظهورات الستة لهذه السيدة على الأطفال أخبرتهم جملة مواضيع عرفت لاحقاً باسم الأسرار الثلاثة، والتي سنستعرض بعض ما جاء فيها في سياق البحث.

ولاقت أخبار هذه الظهورات والتجليات اهتمام المسيحيين الكاثوليك بصورة رئيسية وخاصة من الإيطاليين والإسبان، واتفقوا على بناء كنيسة ضخمة في موقع التجلي أو الظهور وذلك في العام 1928م بمساعدة الشاهدة الوحيدة الباقية من الأطفال الثلاثة وهي لوسيا دو سانتوس وذلك بعد وفاة فرانشيسكو وأخته جاسنتا بوباء الأنفلونزا الذي اجتاح أوروبا عام 1919 م، في حين كبرت ابنة عمها لوسيا، ودخلت الدير ودرست الكهنوت، وأصبح اسمها الأخت لوسيا.

شيدت هذه الكنيسة الضخمة على التلة التي حدث فيها الظهور أو التجلي، وأصبحت مركزاً دينياً لباقي القرى، وأطلقوا عليها إسم «كنيسة القديسة فاطمة». وهي ما تزال لتاريخ اليوم تحمل هذا الإسم وقد أضحت هذه المدينة تعرف باسم مدينة القرية فاطيما. وعليه، وبناءً على كل ما تقدم، ما هو السبب من وراء هذه التسمية المباركة التي جمعت بين المسيحية والإسلام؟

والجواب على هذا التساؤل سيتضح بعد استعراض الآراء المختلفة حول هذا الأمر والتي لا تتجاوز الأربعة، وهي على الشكل التالي:

**الأول**: نسبة إلى قصر سكنته أميرة تدعى فاطمة سبيت بعد اندحار النفوذ الإسلامي عن تلك البلاد.

**الثاني**: إدعاء السيدة التي ظهرت للأطفال بأن اسمها فاطمة ومن هنا كانت التسمية بالقديسة فاطمة.

**الثالث**: عدم صحة كل هذه الأقوال حيث لم تحصل أي معجزة أو حالة تجلي، وهذا ما يشابه ما قاله أبو سفيان عدو النبي ﷺ في معركة حنين: لا وحي جاء ولا خبر نزل.

**الرابع**: نسبة إلى اسم القرية القديم منذ أيام الأندلس.

وللتعرّف إلى الرأي الصائب بين هذه الآراء، سنعمد إلى استعراض كل رأي والتعليق عليه، لنخلص بالنهاية إلى النتيجة المرجوّة من وراء هذا البحث.

ولكن قبل ذلك، فلنذهب بجولة داخل هذا الصرح الديني لنتعرّف عليه ونشاهد عن قرب محتوياته وطبيعة الطقوس الدينية التي تمارس فيه، أو عند الدخول إليه، أو في محيطه.

إن أول ما يستوقف الزائر لهذا الصرح الديني مساحته الكبيرة المزينة بالخضرة من كل جانب، كذلك الجو الهادئ والمفعم بالسكينة والوقار. فعن يمين الداخل توجد كنيسة كبيرة جداً وهي مستحدثة وتسع لأعداد كبيرة من المصلين، ويقابل مدخل هذه الكنيسة عدة تماثيل منحوتة لشخصيات دينية مسيحية يتوسطها تمثال ذهبي على مرتفع يجسد شكل وهيئة السيد المسيح عليه السلام كما في المعتقد المسيحي، وإلى

اليسار يوجد مذبح وشبه كنيسة غير مغلقة تقام فيها القداديس معظم الوقت، وإلى جانبها يوجد مكان خاص لإشعال ووضع الشموع الخاصة بالنذورات وما شاكل، وتقع الكنيسة الرئيسية (سانت فاطيما) على مرتفع يمكن الوصول اليها من خلال ارتقاء السلالم العريضة، وفي أسفل هذه السلالم يوجد مذبح (منبر) خارجي كبير تقام عليه القداديس بالخارج للوفود الكبرى الزائرة وخاصة بالمناسبات وفي أيام الربيع والصيف، وفي بهو الكنيسة الخارجي يوجد العديد من الجداريات التي تحاكي قصة السيد المسيح عليه السلام بحسب المفهوم المسيحي، وهي جداريات فنية وجميلة للغاية لجهة الألوان والإتقان وعند الدخول إلى الكنيسة (سانت فاطيما) المؤلفة من طابقين غير منفصلين تأخذك الدهشة، وتجذبك روعة وفخامة، وأناقة هذه الكنيسة من الداخل. إذ على جانبيها تجد الجداريات المذهبة الرائعة والتي تتحدث عن السيد المسيح عليه السلام، والأحداث التي جرت معه وفق المعتقد المسيحي الخاص، كما يستوقفك جمال وفخامة وأناقة المذبح التي تجري عليه القداديس وتتلى من عليه الصلوات، والمصنوع من الرخام الفاخر والملون، ويحيط به العديد من المجسمات الخاصة بالسيدة العذراء والسيد المسيح عليهما السلام، وعن يمين المذبح للداخل يوجد قبر فرانشيسكو مارتو، وعن شمال المذبح للداخل يوجد قبرين أحدهما لجاسنتا مارتو شقيقة فرانشيسكو، والأخر لإبنة عمهم لوسيا دو سانتوس أو الأخت لوسيا كما عرفت لاحقاً.

وهذه القبور الثلاثة هي موضع عناية خاصة واهتمام شديد من قبل

جميع الزوار والوافدين، حيث يقفون على قبورهم، ويتلون لهم الصلاة أو الدعاء لراحة أنفسهم، كما يتضرعون إلى الله بهم من أجل استجابة أمنياتهم وطلباتهم. إلا أن الملفت في الأمر بشكل استثنائي، تلك النذورات التي يعتقدها ويعمد إليها بعض الوافدين، بحيث أنهم يدخلون إلى ساحة الكنيسة الخارجية، ومنها صعوداً على السلالم، وصولاً إلى داخلها، كل ذلك زحفاً على الركبتين، وهي مسافة طويلة جداً، ومرهقة، ويحتاج معها الزائر إلى مرافق يعينه أثناء تأدية هذا النذر أو الطقس.

وبشكل عام يمكن القول أن هذه الكنيسة ومحيطها واحة روحية أنيسة في جو من الهدوء والنظافة والنظام، كل ذلك يشعرك بأنك في مكان إستثنائي ومميز يأخذك بشكل تلقائي إلى السماء.

وبالعودة إلى الأرض، وتحديداً إلى موضوع هذا البحث والآراء الأربعة التي ذكرناها حول سبب التسمية (بالقديسة فاطيما)، فيقول أصحاب الرأي الأول ما يلي: (. . . . . شنّ الجيش الأوروبي المسيحي حرباً على المسلمين لإستعادة الأراضي التي انسلخت عنهم ووقعت تحت النفوذ الإسلامي، والتي كانت تعرف بالأندلس وذلك في عام 1158 م، وفي خلال هذه الحرب على المسلمين وإجلائهم عن معظم بلاد الأندلس (ما عدا غرناطة التي سقطت في العام 1492م وكانت آخر المناطق التي تخضع للنفوذ الإسلامي). غنم جيش الملك الفونسو الأول من خلال هذا الإنتصار على المسلمين الكثير من

الثروات، بالإضافة إلى عدد من السبايا، من ضمنهم أميرة من القصر، وهذه الأميرة كانت تدعى فاطمة.

وعند توزيع غنائم الحرب على قادة الجيش المسيحي، كانت الأميرة فاطمة من حصة كونت أوريم (أي حاكم مدينة أوريم) ويدعى كونزالو هيرميك، الذي أجبر الأميرة فاطمة على اعتناق الدين المسيحي وفق المذهب الكاثوليكي قبل أن يتزوجها.

وبعد حصول ذلك عاشت هذه الأميرة في تلك المدينة ما تبقى من عمرها وتوفيت فيها. ولأنها اشتهرت بالثقافة والأدب، والمستوى العالي من النظافة الشخصية، وطيبة القلب، والكرم، وحسن المعشر، ولطافة الشخصية، وعذوبة اللسان سواء مع الحاشية أو مع عامة الناس أصبحت محبوبة عند الجميع، لدرجة أن اسمها طغى على اسم القصر الذي كانت تعيش فيه خارج مدينة أوريم، وأصبح الناس يطلقون اسم فاطمة على القصر والمنطقة المحيطة به، وبمرور الأيام صارت هناك قرية تدعى فاطمة. وهذه القرية الصغيرة التي لا يتجاوز عدد منازلها 25 منزلاً كانت مجهولة تماماً من قبل معظم البرتغاليين قبل حادثة مطلع القرن العشرين أي (ظهور السيدة) في تلك المنطقة النائية والبعيدة والمجهولة.

ويقولون أيضاً بأنه لا يعرف أحد أين تم دفن هذه الأميرة، ولم يجدوا أي قبر أو ذكر لها حتى ضمن القبور الملكية لحاكم أوريم أو ما شاكل ذلك.

وبعد حصول حادثة ظهور السيدة في تلك القرية على الأطفال

الثلاثة في 13 أيار عام 1917، أخذ الناس يعبّرون عن هذه الحادثة وينسبونها إلى اسم القرية، فيقولون سيدة فاطمة، أو القديسة فاطمة، أو سانت فاطيما، ومنذ ذاك الوقت ولتاريخه اصبحت هذه المنطقة تدعى مدينة فاطمة، أو سانت فاطيما نسبة لحصول هذه الحالة العجائبية في منطقة فاطمة المذكورة.

أما التعليق على هذا الرأي الأول فنقول:

إنّ هذا الرأي وللوهلة الأولى يبدو وكأنه موثق بشكل علمي ودقيق، إلّا أن الحقيقة غير ذلك وللأسباب التالية:

1 - ان حالة الخلط بين العلمي الموثّق تاريخياً، وبين بعض الحكايات الشعبية التي لا دليل على صحتها اطلاقاً، لهي من أخطر أنواع التضليل في كتابة المسائل التاريخية، لذا يجب على الباحث في المسائل التاريخية عدم دمج المعلومات في سياق واحد حتى تبدو كأنها مسلّمة تاريخية، كحالتنا هذه مع أصحاب الرأي الأول. حيث تمّ دمج المعلومات التاريخية الموثقة والتي تتحدّث عن سقوط الأندلس، مع الأسماء، والتواريخ، والأماكن، وما شاكل ذلك ببعض المزاعم والحكايات التي لا أساس لها كما سيتضح معنا. فإن مسألة سبي أميرة من أميرات القصر الأموي في الأندلس آنذاك لهي من الحكايات التي لا أساس لها حتى على المستوى العرفي الشعبي، وأبرز دليل على ذلك قول عائشة بنت محمد بن الأحمر المعروفة (بعائشة الحرة) لابنها أبي عبدالله محمد الثاني عشر، آخر حكام غرناطة في الأندلس وذلك أثناء خروجهم منها على متن السفن مع حاشيته كلها: «ابك مثل النساء على

ملك لم تحافظ عليه كالرجال». وفي هذا دليل على خروج جميع سكان القصر وحاشيته برفقة الحاكم ووالدته. ولو أن أصحاب هذا الرأي تواضعوا قليلاً وقالوا بأن المسبية جارية من جواري القصر، لكان هذا الاحتمال يمكن النظر فيه للتأكد من صحته، وهو غير صحيح.

2 - القول بأن هذه الأميرة المسلمة تمّ تعميدها وفق العقيدة المسيحية وإلزامها بالمذهب الكاثوليكي حتى يتمكن حاكم أورليم من الزواج منها لهو في غاية السخافة، اذ لا يجوز وفق العقيدة المسيحية للرجل المسيحي حتى ولو كان حاكما من الزواج بأكثر من امرأة، وإنّ كان يستطيع أن يتّخذ العديد من الخليلات بغض النظر عن دياناتهن أو معتقداتهن. في حين أن التاريخ يذكر بأن زوجة الكونت حاكم أورليم كانت تدعى (أوريانا) وهي مسيحية.

3 - اعتراف أصحاب هذا الرأي بأنه من غير المعروف أو المعلوم مكان وفاة هذه الأميرة الأندلسية المسلمة رغم الشهرة التي اكتسبتها وسط مجتمعها، ما حدا بهم إلى اطلاق اسمها على القصر والقرية التي كانت تعيش فيهما وفي هذا دليل اضافي على إختلاف وعدم صحة هذا القول.

4 - اعتراف أصحاب هذا الرأي أيضاً بأن هذه الأميرة كانت تعيش في قصر الحاكم في قرية نائية وبعيدة عن مدينة أورليم، والتي كانت هذه المنطقة غير معروفة وغير مأهولة بنسبة كبيرة جدا قبل أحداث 12 أيار من العام 1917، اذ لم يتجاوز عدد القاطنين بها أكثر من 25 منزلاً قروياً ولا يوجد في هذه القرية أو المحيط بها أية معالم

لقصر مندثر أو ما شابه ذلك. ومن المعروف والمعلوم أن زوجة أي حاكم تسكن معه أو بجواره في منطقة الحكم فكيف له أن يسكن زوجته في منطقة نائية وبعيدة عنه دون حشم أو خدم؟ مع إدعائهم بحب الحاشية لها؟!

5 - لو صحت هذه المزاعم وهي غير صحيحة، فكيف أن هذا الحاكم المسلم المندحر عن بلاد الأندلس لم يحاول افتداء هذه الأميرة المسلمة بالأموال وخاصة أن العرب وفق عاداتهم الأصيلة كانوا يبذلون المهج دون الأعراض ما حدا بهم إلى وأد الاناث خشية العار وذلك قبل الاسلام؟

لهذه الأسباب وغيرها الكثير نجد أن هذا الرأي لا يحاكي الواقع وهو غير صحيح، وان كان مدعّماً ببعض المعلومات التاريخية.

- أما بخصوص الرأي الثاني القائل بأن السيدة التي ظهرت على الأولاد عرّفت عن نفسها بأن اسمها فاطمة، فهو أيضا غير صحيح اطلاقا وللأسباب التالية:

1 - ان هذه المزاعم لا تستند إلى أي دليل علمي أو واقعي بأي شكل من الأشكال، ومن أبرز مظاهر هذا النفي هو بقاء لوسيا دو سانتوس احدى الأطفال الثلاثة على الديانة المسيحية، اذ أنها دخلت الدير وتعلمت الكهنوت، ونذرت نفسها لله وتوفيت عن عمر 97 عاما وهي ملتزمة بالدين المسيحي، ووفق المعتقد الكنسي الكاثوليكي الذي لا يتوافق مطلقا مع العقيدة الاسلامية وخاصة لجهة طبيعة السيد المسيح عليه السلام.

2 - بحسب مجريات الحادثة فان الأخت (لوسيا) هي التي نقلت مطالب هذه السيدة الجليلة التي ظهرت لهم، وهذه المطالب عرفت لاحقا باسم الأسرار الثلاثة وقد نقلتها لوسيا لاحقا إلى البابا في الفاتيكان بيوس الحادي عشر، وكلها تتحدث عن المعتقد المسيحي والدفاع عنه وعن الكنيسة، حيث جاء في جزء من السر الثاني:

«عندما ترون الليل منيرا بضياء غريب، اعلموا حينها أنها الاشارة التي يعطيكم اياها الرب، حيث أنه سيعاقب العالم عن معاصيه بالحرب والمجاعة وبالتجني على الكنيسة والبابا المقدّس».

فما علاقة هذا النص أو السر المنقول بسيدة نساء العالمين عليها السلام، والعقيدة الإسلامية؟؟.

و فيه أيضاً: «لقد شاهدتم الجحيم حيث ستذهب نفوس الخطاة. من أجل خلاصهم، الله يريد الرحمة بالعالم من أجل قلبي المكلوم. فلو عزمت على فعل ما آمركم به فنفوس عديدة سترى الخلاص، ويكون لهم السلام. أما الحرب فستضع أوزارها. لكن فإن لم يتوقف عن التجديف بالله، تحت أمر قداسة البابا وية بيوس الحادي عشر فستستعر أخرى من جديد».

أيضا ما علاقة هذا النص بالمفاهيم الاسلامية؟ أليس الحري والأجدى لو وجهت كلامها إلى الحكام المتنازعين والمتناحرين على السلطة في العالم الإسلامي ان صح أنها السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام؟

3 - ما ورد في السر أو الخبر الثالث، والذي وحده بمضمونه يقطع الطريق على اصحاب الرأي الثاني القائلين بأن السيدة التي ظهرت

للأطفال هي فاطمة الزهراء عليها السلام، حيث جاء فيه: «رأينا على جانب أمنا السماوية ملاك يمسك في يده سيفاً من النار يبرق ويخرج منه لهيب عظيم فحسبنا أنه سيهلك الدنيا، لكن وبمجرد أن يلمس بهاء العذراء المنبثق من يدها اليمنى ينطفىء في حينها... ورأينا العديد من الأساقفة والقساوسة والرهبان والراهبات يتسلقون جبلا عالياً وعلى قمته يوجد صليب من جذع الشجر...عبر البابا وبخطى ملأت رعبا وخوفا مدينة عظيمة نصفها أطلال ونصفها الآخر مزلزل، كان يصلي لأجل الموتى الذين كانت جثثهم مرمية عبر الطريق... وبعد أن وصل إلى قمة الجبل، على ركبتيه أمام الصليب الكبير، قتل على يد مجموعة من الجنود الذين أطلقوا الرصاص والسهام، وبنفس الطريقة التي توفّي، هكذا مات جميع الأساقفة والكهنة والرهبان والراهبات واحدا تلو الأخر أيضا تحت ذراعي الصليب كان هناك اثنان من الملائكة مع كل واحد الكريستال في يده، والتي جمعت دماء الشهداء ومنها رشّت النفوس التي كانت في طريقهم إلى الله...».

فأين المفاهيم والمعتقدات الاسلامية من هذا النص؟؟ وما علاقة السيدة الزهراء عليها السلام به؟؟

4 - المنشأ الخاطىء لأصحاب هذا الرأي حول مسألة التسبيح اذ أن الأطفال الذين ظهرت لهم هذه السيدة الجليلة طلبت إليهم الاكثار من التسبيح لله، حيث عمد أصحاب هذا الرأي إلى ربط هذه المسألة بموضوع ما يعرف بتسبيحة السيدة الزهراء عليها السلام.

وفاتهم أن من ضمن الطقوس العبادية في الديانة المسيحية أن هناك

مسألة تسمى بالتسبيح المريمي وهي من العبادات التي يقوم بها المسيحيون منذ نشأة الكنيسة الكاثوليكية في العام 325 م.

وللأسف الشديد تحولت هذه المسألة إلى حالة من المهاترات، والسخافات، والإسفافات بين المسلمين نعرض عن ذكرها، ونترفع عنها، ودخل عليهم مؤخراً جماعة من المسيحيين في سبيل الدفاع عن السيدة العذراء عليها السلام، تهكماً بالمسلمين الذين يحاولون نسب هذا الأمر اليهم.

وهذا الأمر خاطىء من أي جهة صدر، اذ أن العقائد الدينية لا تقوم على أساس المهاترات الفارغة والإدعاءات الباطلة الغير مؤكدة، وعلى الجميع احترام حرية معتقد وفكر أي انسان مهما كان باطلاً هذا الفكر بحسب الآخر.

5 - الارتكاز بشكل أساسي على الأقوال الشعبية بدون حجة أو بينة، وهذا ما لمسته شخصيا أثناء تشرفي بزيارة هذا الصرح الديني، حيث التقيت بنائبة مدير المكتبة الوطنية في لشبونة، وتدعى ماري تيريزا، حيث قالت لي بالصوت والصورة المحفوظة في الأرشيف لديّ أن قسما كبيرا من أهل البرتغال يتناقلون أن اسم السيدة التي ظهرت للأطفال هو فاطمة وهو بدون دليل ولا برهان. كما أنني اكتشفت اثناء حديثي مع هذه السيدة انها ملحدة ولا تؤمن بشيء، وهذا الأمر من المفارقات الغريبة والعجيبة في آن معا.

لهذه الأسباب وغيرها أيضا نجد أن هذا الرأي غير صحيح على الاطلاق، من الناحية المنطقية والاسلامية.

- أما بخصوص الرأي الثالث، والقائل بعدم صحة حصول الحادثة وظهور السيدة للأطفال، فهم اعتمدوا وارتكزوا بشكل اساسي على المسائل التالية:

1 - رفضهم المطلق للفكر الديني عموماً والمسائل الميتافيزيقية.

إذ أن أصحاب هذا الرأي كانوا من اتباع المدرسة الفكرية التي قامت بها الثورة البلشفية، والتي تعتمد بشكل اساس على الفكر المادي الديالكتيكي الرافض للفكر الديني الغيبي، والذين عرفوا لاحقاً بالشيوعيين أتباع أنجلز، وماركس، ولينين.

وخاصة اذا ما عرفنا أن تاريخ حادثة الظهور لهذه السيدة الجليلة كانت ابان انتصار الثورة البلشفية، واكتساح أفكارها، وطروحاتها للعالم الغربي، ومنها البرتغال.

2 - اعتبارهم أن نشر هذه الحادثة الخرافية بزعمهم، يهدف إلى مجابهة أفكارهم وطروحاتهم المادية الجديدة، ويعمل على تقوية دور الكنيسة، واطلاق يدها في الحياة الاجتماعية والسياسية.

وقد دعموا رأيهم هذا بما جاء في مضمون السر الثاني الذي نقله الأطفال للعالم، حيث جاء فيه: «... من أجل تجنب هذه الحرب. سأطلب من روسيا التعلق بقلبي الرحيم وبجماعة المؤمنين أيضاً. فإذا تحققت مطالبي فروسيا ستقبلني ويحل السلام. وإذا كان العكس فخطاياها ستعم الدنيا، مخلفة حروباً وتطاولاً على الكنيسة. يستشهد الأتقياء، ويكابد الكثير البابا... وفي الأخير. قلبي المكلوم سيعرف

الإنتصار، وحينها يسخّر لي البابا روسيا بأكملها حيث ستتحول إليّ ويعم السلام بالعالم وقتها».

ومن المعروف أن الثورة البلشفية انطلقت وحصلت في روسيا بعد الإنقلاب على الحكم المسيحي القيصري، لذا اعتبر أصحاب هذا الرأي أن في اختراع هذه الحادثة محاولة لإعادة الحكم المسيحي في روسيا ومجابهة الفكر المادي الجديد.

وعليه، شهدت البرتغال عموماً، والمسيحيين خصوصاً، حالة من القمع الدموي بعد حادثة الظهور واستمر لفترة طويلة، لذا فإن بناء الكنيسة الأولى في مكان الظهور كان في العام 1928 م، أي بعد الحادثة بمدة عشر سنوات، واقتصر شكل بناؤها في المرحلة الأولى على شكل صغير ومتواضع إلى حد ما.

3 - قولهم بأن التركيز على إسم بابا الفاتيكان آنذاك بيوس الحادي عشر هو محاولة واضحة لتقوية شوكته وسلطته الدينية والسياسية في مقابل الفكر الشيوعي الجديد، وبالتالي لو صحت هذه الحادثة لوجب أن تكون عامة وموجهة إلى كل العالم وليس إلى جهة محددة حتى تستفيد منها بشكل مباشر، كما أن التركيز على مهد الفكر الجديد أي روسيا دون غيرها من البلدان الغربية هي محاولة استهداف سياسي، بلباس ديني غيبي وخرافي بحسبهم. والخطورة التي رأوها في هذا الإستهداف هي محاولة تقليب واستنهاض الجماهير في روسيا ضد النظام الشيوعي الجديد، لذا عمدوا إلى تكذيبها وتسفيهها وقمعها بشتى الوسائل.

وتعليقاً على هذا الرأي نقول: صحيح أن بعض الأنفس المريضة لطالما تاجروا بالأديان لمصالحهم الشخصية الضيقة، ولطالما استثمروا عواطف الشعوب ومعتقداتهم النبيلة بالخالق من أجل تنفيذ مآربهم ومخططاتهم، فكم من حرب شنّت باسم الله وهو تعالى بريء منها ومن أصحابها، وكم من أنفس زهقت، وأعراض هتكت، وأموال سلبت باسم الدين، والدين منها براء. والدين هنا أي دين سماوي كان يهودي، أو مسيحي، أو إسلامي. والتاريخ حافل ومثقل بهكذا تصرفات واستغلالات للفكر الإنساني وخاصة الديني.

ولمن يريد شواهد على هذا القول ، فيكفيه العودة لتصفح تاريخ الرسالات السماوية وما جرى مع اصحابها وأتباعهم، ليعلم بأن الإضطهاد للفكر الديني بشكل خاص لجهة القمع أو التحريف أو الإستثمار ليس بشيء جديد، وسيبقى كذلك، لأن الإنسان هو الإنسان بخيره ونبله، وشروره وأطماعه، وأهوائه الدنيوية الرخيصة.

وأيضاً، صحيح أنه لطالما شنّ أصحاب الهوى، والآراء، والأفكار المغلوطة، والناقصة، حروباً على الناس وأزهقوا أرواحهم، وهتكوا أعراضهم، وسلبوا أموالهم، ودمروا حضاراتهم، بعناوين شتى واهية وخاطئة، بدليل أنهم كانوا منذ فجر الحضارة الإنسانية وليومنا هذا يعملون على ذلك وفشلوا رغم كل جبروتهم وطغيانهم، والسبب من وراء فشلهم هذا، أن ما يرتبط بالسماء يبقى أبداً يرتقي رغم كل العواصف والأعاصير التي تحاول تشتيته أو طمسه.

فهل استطاعت كل هذه الآراء والنظريات من إبعاد الناس عن

الخالق؟؟ وسيبقى هذا الصراع قائماً بين الأرض والسماء حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وبناءً على ما تقدم، فإننا لا نعتقد بصوابيّة هذا القول وهذا الرأي، وإن كان يحمل في طياته تأويلات لبعض الأحداث بشكل علمي وجدلي فيه شيء من الخبث.

- وأما بخصوص الرأي الرابع، والقائل بأن هذه الحادثة حصلت في منطقة تحمل إسماً إسلامياً مباركاً منذ أيام الأندلس، وهذا ما نذهب إليه ونتبناه بقوة، ودليلنا عليه بالشكل التالي:

1 - جرت العادة في الإجتماع الإنساني وخاصة في بدايات تكوّن وتشكّل المجتمعات الصغيرة أن ينسبوا أنفسهم تارة إلى جهة معنوية كإنسان معين، وهذا ما عليه ديدن القبائل. والمجتمعات الإنسانية في بداياتها، مكونة من مجموعة قبائل بشرية متناسلة من بعضها، أو متحالفة مع غيرها. أو إلى جهة مكانية، كجبل أو واد أو نهر أو بئر أو ما شاكل ذلك. وهذا ما اكتشفه علماء الإنسان أو الإنتربولوجيا وأكدوا عليه.

وفي كثير من الأحيان تغزو بعض القبائل بعضها الآخر، وتسيطر عليها، وعلى ممتلكاتها من أراض وأموال وما شابه ذلك. وعليه يتغير الإسم الأول المعروف للقبيلة المغزية مع مرور الزمن، ليحمل الإسم الجديد للقبيلة الغازية، وهكذا ودواليك.

وإذا ما أردنا أخذ بعض الشواهد على هذا الأمر: فإن بلاد غالة القديمة كانت تشكل القسم الأكبر من البلدان الأوروبية التي تحمل

أسماء مختلفة حالياً. كذلك الأمر بالنسبة إلى أرض الحجاز، التي أصبحت مجموعة بلدان وممالك في عصرنا هذا.

وأيضاً بلاد الشام التي كانت تشمل كل من لبنان، والأردن، وفلسطين، وصولاً إلى جزيرة قبرص.

لذلك كان من عادة الفاتحين أن يضموا البلاد المغزية إلى سلطانهم وإعطائها أسماء جديدة، كحالة الإسكندرية في مصر، حيث حملت إسم الإسكندر المقدوني، وبقيت لتاريخنا هذا تعرف به، ولا أحد يعلم اسم هذه المنطقة قبل الإسكندر من غير المتخصصين بالأركيولوجيا، أو علم الآثار والحضارات القديمة.

وفي ذات السياق الأمر نفسه حصل مع هذه المنطقة، التي حملت إسم فاطمة في البرتغال.

فعندما فتح المسلمون بلاد الأندلس (اسبانيا القديمة) أيام الدولة الأموية على يد طارق بن زياد وموسى بن نصير عام 711م، في أواخر أيامها قبل هزيمتهم أمام الدولة والخلافة العباسية، فرّ إليها عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك والملقب بـ (صقر قريش) والمتوفي في العام 788م.

وأسس بالأندلس دولته البعيدة عن النفوذ العباسي، وفي المائة سنة الأولى من قيام الحضارة الإسلامية والعربية في الأندلس، إزدهرت فيها العلوم والآداب، والعمارة والفن، وبلغت حالة متقدمة من التمدن الحضاري، وعليه أصبحت الدولة الأموية في بلاد الأندلس، مركزاً

حضارياً كبيراً في غرب العالم الإسلامي. واستمر الأمر كذلك حتى سقوط غرناطة آخر الممالك الإسلامية في بلاد الأندلس عام 1492 م.

وفي هذه الفترة الطويلة من الحكم العربي والإسلامي لهذه المنطقة، حصل العديد من التغيرات الديموغرافية والجغرافية في تلك البلاد. ومن الطبيعي جداً أن تحمل هذه المناطق في الأندلس أسماء عربية أو إسلامية، والشواهد على ذلك كثيرة جداً ليومنا هذا. وزيارة واحدة إلى معالم تلك البلاد الأثرية تجدها ما تزال تحمل أسماءها العربية والإسلامية.

ومن ضمنها موضوع بحثنا هذا. فإن هذه القرية الصغيرة والنائية كانت تحمل إسم فاطمة الإسلامي منذ بدايات الفتح العربي للأندلس، والدليل الإضافي والشبه الحاسم على هذا الأمر، أن المنطقة الملاصقة والمتاخمة لقرية فاطمة ما تزال تحمل إسم محمد الإسلامي كما هو ظاهرفي الصورة المرفقة، والتي تشير إلى المنطقة بإسم محمد أو المحمديون باللغة البرتغالية ليومنا هذا.

وعليه يكون الأمر على الشكل التالي: بعد حصول الحادثة في 13 ايارمن العام 1917 في تلك المنطقة بغض النظر عن صحة حصولها من عدمه، نسبت تلك الحادثة إلى اسم المكان الذي حصلت فيه، وأخذ الناس يرددون موضوع هذه الحادثة وينسبونه إلى المكان، فيقولون: أعجوبة فاطمة، أو تجلي السيدة في فاطمة، أو سانت فاطيما أي ظهور وتجلي السيدة العذراء في قرية فاطمة. وكلمة سانت يعني قديسة، أو ولية بالتعبير الإسلامي والعربي.

وعليه فلا يبقى مجال للتشكيك أو التأويل خلاف هذا، وخاصة أننا قد استعرضنا كل الآراء الأخرى.

والنتيجة تكون: أن هذا الصرح الديني الضخم هو مسيحي الهوية بإمتياز، وشيّد في منطقة كانت تحمل إسماً إسلامياً مباركاً وهو فاطمة، فالسلام عليك يا سيدتي ومولاتي يا مريم العذراء يا أيتها الطاهرة والممتلئة نعمة من الله، والسلام عليك يا سيدتي ومولاتي يا سيدة نساء العالمين يا فاطمة الزهراء يا أيتها البتول وأم أبيها السلام عليك وعلى أبيك وعلى زوجك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وعلى ذريتك الطاهرة ورحمة الله وبركاته.

وقبل الختام: أحب أن أشير إلى أنني قد شعرت بشيء من الإنزعاج والحسرة لرؤية كل هؤلاء الوافدين إلى زيارة هذا الصرح الديني المحترم، وتركهم زيارة مسقط رأس السيد المسيح عليه السلام في القدس، تلك الأرض التي لا شك بأنّها قبّلت أقدامه عندما كان يمشي عليها.

فإلى متى هذا الجفاء لهذه الأرض المقدسة يا أحباب المسيح ومحمد صلوات الله عليهما.؟؟

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

صورة لساحة مدينة فاطيما في البرتغال
ويظهر مجسم في الوسط يحاكي الحادثة التي حصلت فيها

صورة للدكتور أحمد قيس وهو في الطريق
المؤدية إلى كنيسة سانت فاطيما

صورة تظهر كنيسة سانت فاطيما
مع الساحة الخاصة بها

الدكتور أحمد قيس يشير إلى برج الكنيسة ويبدو أمامه المذبح الخاص بالقداديس الخارجية

صورة للدكتور أحمد قيس أمام تمثال يرمز إلى البابا باولو السادس والذي يقابل بوجهه الكنيسة

صورة تظهر تمثال الباب باولو السادس وكيفية توجهه نحو الكنيسة

صورة للكنيسة الضحمة والمستحدثة والتي تسع أعداد كبيرة من الناس وهي تقع على يمين الداخل إلى سانت فاطيما

صورة تظهر أداء طقوس الزحف على الركبتين باتجاه سانت فاطيما

صورة أقرب تظهر كيفية السير على الركبتين

صورة أخرى تظهر كيفية السير على الركبتين وتبدو الكنيسة المستحدثة

الدكتور أحمد قيس أمام التمثال الذهبي الذي يرمز للسيد المسيح عليه السلام والكنيسة من خلفه

صورة للتمثال والمذبح الخارجي وبرج الكنيسة

صورة للقداس الذي يجري في الساحة الخارجية الجانبية

وأيضاً صورة لجموع المصلين في الكنيسة الخارجية الجانبية

صورة يشير فيها الدكتور أحمد قيس لمنبر المذبح الذي تجري من عليه القداديس للجموع الغفيرة والتي تحتشد أيام الربيع أو الصيف وخاصة في 13 أيار من كل عام

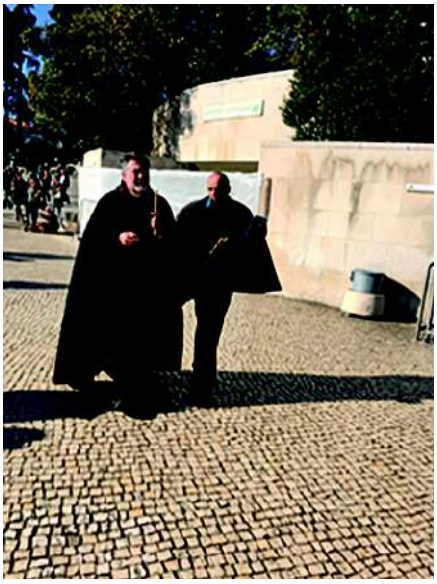

صورة يبدو فيها كاهن يحمل شمعة لنذر ويتوجه إلى مكان وضع الشموع

صورة تظهر تجمع الناس الذين يشعلون الشموع ويضعونها في هذا المكان الخاص

صورة على الدرج المرتفع المؤدي إلى
الكنيسة ويبدو الدكتور أحمد قيس جالساً

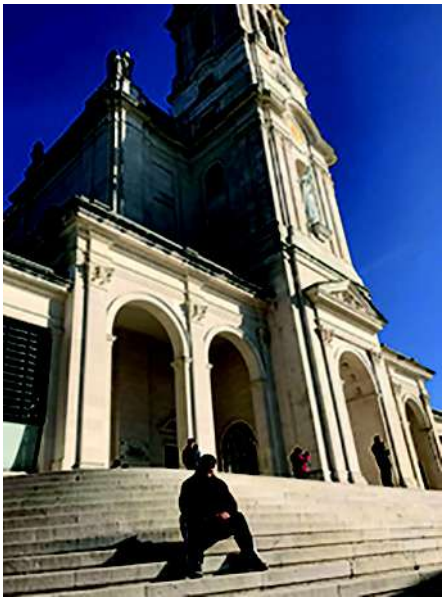

صورة أقرب لهذا الدرج
ويبدو الدكتور قيس أيضاً

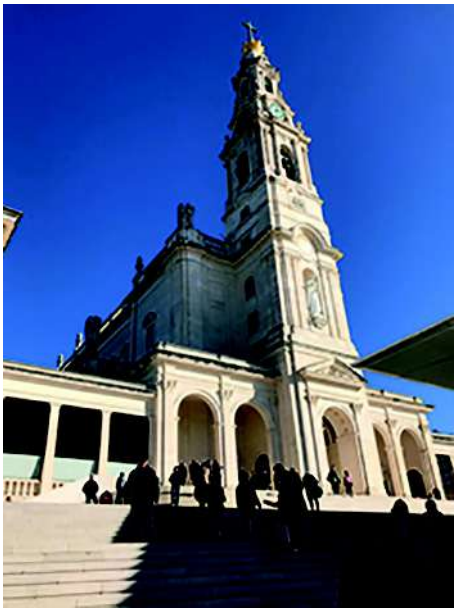

صورة أوضح تظهر الدرج المرتفع
مع مدخل الكنيسة والبرج

البهو الخارجي لكنيسة سانت فاطيما
وتظهر الجداريات الفنية الرائعة

صورة عامة من داخل كنيسة سانت فاطيما

صورة للدكتور أحمد قيس أمام مذبح الكنيسة

صورة عن يمين المذبح ويظهر
قبر فرانشيسكو مارتو خلف السور الخشبي

الدكتور أحمد قيس يشير إلى قبر فرانشيسكو
مارتو أحد الأطفال الثلاثة المدفونين داخل
صرح الكنيسة على يمين الداخل إليها

صورة جانبية من داخل الكنيسة
وتظهر جدارية مذهبه

صورة للدكتور أحمد قيس يشير إلى قبر
جاسنتا مارتو شقيقة فرانشيسكو وإلى جوارها
الأخت لوسيا دو سانتوس المدفونتان داخل
صرح الكنيسة لجهة شمال الداخل إليها

صورة أقرب للقبرين المتجاورين وتبدو الجداريات الفنية على الحائط

تماثيل حجرية تحاكي حادثة الظهور على الأطفال الثلاثة

صورة حقيقية للأطفال الثلاثة وهم عن يمين الصورة جاسنتا مارتو وفي الوسط لوسيا دو سانتوس وعلى الشمال فرانشيسكو مارتو

صورة حقيقية للحشود التي اجتمعت لمشاهدة الظاهرة الفلكية بتاريخ 13/ 10/ 1917م

وأيضاً صورة أخرى لهذه الحشود لهام 1917م

صورة عن الكنيسة الصغيرة التي بنيت في مكان ظهور السيدة عام 1918م

صورة تظهر البابا بيوس الثاني أثناء حجه إلى سانت فاطيما والحشود الغفيرة المستقبلة له

صورة حقيقية للأخت لوسيا دو سانتوس في أواخر عمرها وهي ترتدي لباس الراهبات

صورة تظهر البابا يوحنا بولوس الثاني وهو يستقبل الأخت لوسيا دوسانتوس أثناء حجه إلى سانت فاطيما

تماثيل في الساحة الخارجية تجسد واقعة الظهور للسيدة على الأطفال

صورة للوحة التي تشير إلى اسم شارع محمد أو المحمّديون والذي يقع في جوار سانت فاطيما والذي يؤكد على أن اسماء هذه المنطقة كانت إسلامية منذ أيام الأندلس

صورة للدكتور أحمد قيس في الساحة الخارجية لكنيسة سانت فاطيما وذلك بعد الإنتهاء من زيارتها

# الفهرس

الموضوع الصفحة

**مقدمة معالي وزير الأوقاف المصرية** ..... 5
**مقدمة سيادة مطران أبرشية جبيل المارونية** ..... 7
**الإهداء** ..... 17
**المقدّمة** ..... 19

**الرسول يوحنا المعمدان** ..... 23
من هو زكريا النبي عليه السلام؟ ..... 24
يوحنّا المعمدان أو يحيى بن زكريا عليه السلام ..... 26
عن ولادته وعائلته يقولون ..... 31
البشارة لزكريا عليه السلام ..... 33
زكريا وتساؤله عن البشارة ..... 34
بشارة مريم وزيارتها أليصابات ..... 35
مولد الطفل وختانه ..... 36
ومما جاء في نشيد زكريا عليه السلام ..... 36
نشاط يوحنا ومواعظه ..... 37

شهادته المباركة ..... 41
ألقابه وسبب تسميته بالمعمدان ..... 41
نظرة المذاهب المسيحية ليوحنا المعمدان ..... 42
الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ..... 43
آراء الديانات الأخرى ..... 44
الصابئة المندائيون ..... 44
كنيسة يسوع المسيح لقديسي الأيام الأخيرة ..... 45
نظرة البهائية ..... 45
نظرة الغنوصيين ..... 45
كنيسة الموحدين ..... 46

**القدّيس يعقوب الكبير** ..... 55
من هو يعقوب الكبير؟؟ ..... 56
إستشهاده ..... 58
أين دفن يعقوب الكبير؟ ..... 59
لمحة موجزة عن هذه الكنيسة في اسبانيا ..... 60

**شمعون الصفيّ وحبيب النجار** ..... 71
قصة المرسلين ..... 72
ما هي صحة هذه النسبة إليه؟؟ ..... 81

**القديسة صوفيا** ..... 91
من هي صوفيا؟ ..... 93
أين دفنت القديسة صوفيا؟ ..... 97

**جبل موسى والقديسة كاترين** ..... 111
قصة القديسة كاترين ..... 115

**أصحاب الكهف** ..... 125
مكان الكهف ..... 142

**أصحاب الأخدود** ..... 153
من هم أصحاب الأخدود وما هي قصّتهم؟ ..... 155

**سانت فاطيما** ..... 169
**الفهرس** ..... 203